بسم الله الرحمن الرحيم

81- كتاب الرقاق

1- باب: ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة

6412- عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

قوله: الرقاق: جمع رقيقة وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن في كل منها ما يحدث في القلب دقة. قال أهل اللغة: الرقة الرحمة وضد الغلظة ويقال للكثير الحياء رق وجهة استحياء. وقال الجوهري ك وترقيق الكلام تحسينه. قوله: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: نعمتان تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة وقيل هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان للغير. والغبن هو البيع الخاسر. قال ابن بطال: معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفيا صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن لا يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه فمن فرط في ذلك فهو المغبون. وأشار بقوله "كثير من الناس" إلى أن الذي يوفق لذلك قليل. وقال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً فإذا اجتمعا في فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الجهاد والسير حديث [2961] وكتاب المغازي حديث [4099].

2- باب: مثل الدنيا في الآخرة

وقوله تعالى{أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ – إلى قوله – مَتَاعُ الْغُرُورِ}

6415- عن سهل قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «موضع سوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوه في سبيل الله – أو روحة – خير من الدنيا وما فيها». [أطرافه في: 2892].

قوله: مثل الدنيا في الآخرة: هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن المستورد بن شداد رفعه "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع". قوله: إنما الحياة الدنيا – إلخ: قال ابن عطية: المراد في هذه الآية ما يختص بدار الدنيا من تصرف وأما ما كان فيها في الطاعة وما لا بد منه مما يقيم الأود ويعين على الطاعة فليس مراداً هنا والزينة ما يتزين به مما هو خرج عن ذات الشيء مما يحسن به الشئ والتفاخر يقع بالنسب غالباً كعادة العرب والتكاثر ذكر متعلقة في الآية وصوره هذا المثال أن المرء يولد فينشأ فيقوى فيكسب المال والولد ويرأس ثم يأخذ بعد ذلك في الانحطاط فيشيب ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب من مرض ونقص ومال وعز ثم يموت فيضمحل أمره ويصير ماله لغيره وتفير دسومه فحاله كحال أرض أصابها مطر فنبت عليها العشب نباتاً معجباً أنيقاً ثم هاج أي يبس

واصفر ثم وتحطم وتفرق إلى أن أضمحل.

3- باب: قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»

6416- عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لفراغك ومن حياتك لموتك. قوله: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل: قال الطيبي: شبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكه وقطاع طريق فإن من شأنه أن لا يقيم لحظه ولا يسكن لمحه. ومن ثم عقبة بقوله "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح - إلخ" والمعنى استمر سائراً ولا تفتر فإنك إن قصرت انقطعت وهلكت في تلك الأودية. ومعنى قوله "وخذ من صحتك لمرضك" أي أن العمر لا يخلو عن صحة ومرض فإذا كنت صحيحاً فسر سير القصد وزد عليه بقدر قوتك ما دامت فيك قوة بحيث يكون ما بك من تلك الزيادة قائماً مقام ما لعله يفوت حاله المرض والضعف. وقال ابن بطال: لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس بل هو مستوحش منهم إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفرة إلا بقوته - وفي ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغه منها والكفاف فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يُبلّغهُ إلى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل. قوله: وخذ من صحتك: أي زمن صحتك والمعنى إشتغل في الصحة بالطاعة بحيث لو حصل تقصير في المرض لا يجبر بذلك.

4- باب: في الأمل وطوله

وقول الله تعالى{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ؟؟؟ ز ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون}.

- روى معلقاً ووصلة ابن أبي شيبة: قال علي بن أبي طالب: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منها بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

6417- عن ابن مسعود قال: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً وخط خطّاً في الوسط خارجاً منه وخط خُططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: «هذا الإنسان وهذا أجله محيط به – أو قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج أملهُ وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطاه هذا نهشه هذا».

6418- عن أنس قال: خط النبي ﷺ خطوطاً فقال: «هذا الأمل وهذا اجله فبينما هو كذلك إذا جاءه الخط الأقرب».

قولــه: الأمل وطولــه: هو ما تحبه النفس من طول عُمر وزيادة غنى وهو قريب المعنى من التمني وقيل الفرق بينهما أن الأمل ما تقدم لـه سبب والتمني بخلافة وقيل لا ينفك الإنسان من أمل فإن فاته ما أمله عوّل على التمني ويقال الأمل إرادة الشخص تحصيل شيء يمكن حصوله فإذا فاته تمناه. قولــه: فمن زحزح عن النار – الآية: فيه الإشارة إلى أن متعلق الأمل ليس بشيء لأنه متاع الغرور، شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغره حتى يشتريه ثم يتبين لـه فساده ورداءته والشيطان هو المدلس وهو الغرور. وقال الجمهور الآية عامة وقال جماعة هي في الكفار خاصة والأمر فيه للتهديد وفيه زجر عن الانهماك في ملاذ الدنيا. قولــه: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً: الخط الرسم والشكل المربع المتساوي الزوايا. قولــه: وخط خطاً في الوسط – إلخ: قيل هذه صفته فالإشارة بقولـه هذا الإنسان إلى النقطة الداخلة وبقوله وهذا أجله أحيط به المربع وبقوله وهذا الذي هو خارجاً أمله إلى الخط المستطيل المنفرد وبقولـه هذه إلى الخطوط هي مذكورة على سبيل المثال لا أن المراد انحصارها في عدد معين ويؤيده قولـه في حديث أنس بعده "إذا جاءه الخط الأقرب فإنه أشار به إلى الخط المحيط بـه ولا شك أن الذي يحيط بـه أقرب إليه من الخارج عنه وقولـه هذا إنسان أي هذا الخط هو الإنسان على التمثيل. قولــه: الأعــراض: جمع عَرضَ وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير وفي الشر. قولــه: نهشه: أي أصابه.

فائدة: استفيد أنه يتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة والرغبة في الدنيا والنسيان للآخرة والقسوة في القلب لأن رقته وصفاءه إنما يقع بتذكير الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة كما قال تعالى:{فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} وقيل من قصر أمله قل همه وتنور قلبه لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة وقال ابن الجوزي: الأمل مذموم للناس إلا العلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا. وقال غيره: في الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا وإنما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة.

5- باب: من بلغ ستين سنه فقد أعذر الله إليه في العمر لقول الله تعالى{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ}

6419- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرىء أخّر أجله حتى بلّغهُ ستين سنه».

6420- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل».

6421- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «يكبرُ ابن آدم ويكبر معه اثنتان: حب المــال وطــول العمر».

قولــه: أعذر الله: الإعذار إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق لـه اعتذار كأن يقول لو مدّ لي في الأجل لفعلت ما أمرت به يقال أعذر إليه إذا ابلغه أقصى الغاية في العذر ومكّنه منه. وإذا لم يكن

لـه عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل لـه فلا ينبغي لـه حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية. والمعنى أن الله لم يترك للعبد سبباً في الاعتذار يتمسك بـه. والحاصل أنـه لا يعاقب إلا بعد حجة. قولـه: أخر أجله: يعني أطالـه. قال ابن بطال: إنما كانت الستون حداً لهذا لأنها قريبة من المعترك وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنيّة فهذا إعذار بعد إعذار لطفاً من الله بعبادة حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم ثم أعذاراً إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية.

الحديث الثاني: قولـه: يكبر: أي يطعن في السن.

قولـه: ويكبر معه: أي يعظم.

فائدة: في الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رفعه "أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك" وقال عياض: في هذا الحديث من المطابقه وبديع الكلام للغاية وذلك أن الشيخ من شأنه أن تكون آماله وحرصه على الدنيا قد بليت على بلاء جسمه إذا انقضى عمره ولم يبق لـه إلا انتظار الموت فلما كان الأمر بضده ذم. والتعبير بالشاب إشارة إلى كثرة الحرص وبُعد الأمل الذي هو في الشاب أكثر وبهم أليق لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذاتهم في الدنيا.

6- باب: العمل الذي يُبتغى به وجه الله تعالى.

6423- عن عتبان بن مالك الأنصاري قال: غدا علّى رسول الله ﷺ فقال: «**لن يوافي عبد يـوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرّم الله عليه النار**». [أطرافه في: 424].

6424- عن أبـي هريرة أن رسول الله ﷺ قـال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**».

قولـه: العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى: قال ابن بطال: خشي البخاري أن يظن أن من بلغ الستين وهو مواظب على المعصية أن ينفذ عليه الوعيد فأورد هذا الحديث المشتمل على أن كلمة الإخلاص تنفع قائلها إشارة إلى أنها لا تخص أهل عُمر دون عُمر ولا أهل عمل دون عمل. ويُستفاد منه أن التوبة مقبولة ما لم يصل إلى الغرغرة. وتبعه ابن المنير فقال: يستفاد منه أن الأعذار لا تقطع التوبة بعد ذلك.

الحديث الثاني: قولـه: إذا قبضت صـفية: هو الحبيب الصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت. قولـه: ثم احتسبه: قال الجوهري: صبر على فقده راجياً الأجر من الله على ذلك وأصل الحِسبة الأجرة.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الوصايا حديث [2742] وفيه قولـه "إنك لن تخلف فتعمل

عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازدت درجه ورفعه".

7- باب: ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.

6425- عن المسور بن مخرمة أن عمرو ابن عوف - أخبره أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمرّ عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه فوافقت صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ فلما انصرف تعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم وقال: «أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء؟» قالوا أجل يا رسول الله قال: «فابشروا وأمّلوا ما يُسّركُم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتُلهيكم كما ألهتهم». [أطرافه في:.....]. ؟؟؟

6426- عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلاته على الميّت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرطكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض – أو مفاتيح الأرض – وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم بأن تنافسوا فيها». [أطرافه في: 1344].

6427- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من بركات الأرض» قيل وما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا» فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي ﷺ حتى ظننت أنه يُنزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: «أين السائل؟» قال: أنا. قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك قال: «لا يأتي الخير إلا بالخير إن هذا المال خضره حُلوه وإن كل ما أتيت الربيع يقتُل حبطاً أو يُلم إلا آكله الخضرة أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال حُلوه من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ، وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع».

قوله: زهرة الدنيا: المراد بهجتها ونضارتها وحسنها وأنواع المتاع. قوله: والتنافس فيها: التنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه وأصلها من الشيء النفيس في نوعه. قوله: فتهلككم: أي لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك. قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها.

الحديث الثالث: قوله: هل يأتي الخير بالشر: أي أتصير النعمة عقوبة لأن زهرة الدنيا نعمة من الله فهل تعود هذه النعمة نقمة وهو استفهام استرشاد لا إنكار. أي هل يستجلب الخير الشر. قوله: ينزل عليه: أي الوحي وكأنهم فهموا ذلك بالقرينة من الكيفية التي جرت عادته بها عندما يوحي إليه. قوله: لقد حمدناه حيث طلع لذلك: الحاصل أنهم لاموه أولاً حيثُ رأوا سكوت النبي ﷺ فظنوا أنه أغضبه ثم حمدوه آخراً لما رأوا مسألته سبباً لاستفادة ما قاله النبي ﷺ. قوله: لا

يأتي الخير إلا بالخير: يؤخذ منه أن الرزق ولو كثر فهو من جملة الخير وإنما يعرض له الشر بعارض البخل به عمن يستحقه والإسراف في انفاقة فيما لم يشرع وأن كل شيء قضى الله أن يكون خيراً فلا يكون شراً وبالعكس. ولكن يخشى على من رزق الخير أن يعرض له في تصرفه فيه ما يجلب له الشر أي أن المال ليس خيراً حقيقياً وإن سمي خيراً لأن الخير الحقيقي هو ما يعرض له من الإنفاق في الحق. كما أن الشر الحقيقي فيه ما يعرض له من الإمساك عن الحق والإخراج في الباطل. قوله: إن هذا المال خضرة حلوة: معناه أن صورة الدنيا حسنة والعرب تسمى كل شيء مشرق ناضر أخضر وقال ابن الابناري قوله "خضرة حلوة" ليس هو صفة المال وإنما هو للتشبيه. كأنه قال: المال كالبقلة الخضراء الحلوة. قوله: وإن كل ما أنبت الربيع: أي الجدول وهذا الكلام كله وقع كالمثل للدنيا. قوله: يقتل حبطاً أو يلم: الخبط انتفاخ البطن من كثرة الأكل يقال حبطت الدابة إذا أصابت مرعى طيباً فأمعنت في الأكل حتى تنتفخ فتموت. وقوله "يُلم" أي يقرب من الهلاك. قوله: الخضر: هو ضرب من الكلأ يعجب الماشية. قوله: خاصرتاها: هما جانبا البطن من الحيوان. قوله: اجترت: أي استدفعت ما أدخلته في كرشها من العلف فأعادت مضغة. قوله: وثلطت: أي ألقت ما في بطنها رقيقاً، زاد الدارقطني "ثم عادت فأكلت" والمعنى أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت تجبلت في دفعه بأن تجتر فيزداد نعومة ثم تستقبل الشمس فتحمي بها فيسيل خروجه فإذا خرج زال الانتفاخ فسلمت وهذا بخلاف من لم تتمكن من ذلك فإن الانتفاخ يقتلها سريعاً. قوله: فنعم المعونة: أي إن عمل فيه بالحق. قوله: ويكون شهيداً عليه: أي حجة يشهد عليه بحرصه وإسرافه وانفاقه فيما لا يرضي الله.

فائدة: قال ابن المنير: في هذا الحديث وجوه من التشبيهات بديعة: أولها تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره، ثانيها تشبيه المنهمك في الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهمكة في الأعشاب وثالثها تشبيه الاستكثار منه والادخار به بالشره في الأكل والامتلاء منه ورابعها تشبيه الخارج من المال مع عظمته في النفوس حتى أدى إلى المبالغة في البخل بما تطرحه البهيمة من السلح ففيه إشارة بديعة إلى استعذاره شرعاً وخامسها تشبيه المتقاعد عن جمعه وضحه بالشاة إذا استراحت وحطت جانبها مستقبلة عين الشمس فإنها من أحسن حالتها سكوناً وسكينة وفيه إشارة إلى إدراكها لمصالحها وسادسها تشبيه موت الجامع المانع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها وسابعها تشبيه المال بالصاحب الذي لا يؤمن أن ينقلب عدوا فإن المال من شأنه أن يحرز ويشد وثاقه حباً له وذلك يقتضي منعه من مستحقة فيكون سبباً لعقاب مقتنيه. وثامنها تشبيه آخذه بغير حق بالذي يأكل ولا يشبع.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب الشهادات حديث [2651] وكتاب المرضى حديث [5672] وكتاب الجنائز حديث [1276].

8- باب: قول الله تعالى{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

6433- عن عثمان بن عفان قال: رأيت النبي ﷺ توضأ وهو في هذا المجلس فأحسن الوضوء ثم قال: «من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه». وقال النبي ﷺ : «لا تغتروا». [أطرافه في: 159].

قوله: الغرور: قال مجاهد الغرور الشيطان وصله الفريابي والغرة غفلة في اليقظة والغرور كل ما يغر الإنسان وإنما فسر بالشيطان لأنه رأس في ذلك. قوله: لا تغتروا: أي لا تحملوا الغفران على عمومه في جميع الذنوب فتسترسلوا في الذنوب اتكالاً على غفرانها بالصلاة فإن الصلاة التي تكفر الذنوب هي المقبولة ولا إطلاع لأحد عليه وظهر لي جواب آخر وهو أن المكفر بالصلاة هي الصغائر فلا تغتروا فتعملوا الكبيرة بناء على تكفير الذنوب بالصلاة فإنه خاص بالصغائر أو لا تستكثروا من الطاعة فلا يناله من هو مرتبك في المعصية.

9- باب: ذهاب الصالحين.

6434- عن مِرداس الأسلمي قال: قال النبي ﷺ : «يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقي حُفالة كحُفالة الشعير – أو التمر لا يباليهم الله باله». [أطرافه في: 4156].

قوله: ذهاب الصالحين: أي موتهم. قوله: كُجفالة الشعير – أو التمر: في رواية "كحثالة" قال البخاري حثالة وحفاله بمعنى واحد. وقال الخطابي: الحثالة الرديء من كل شيء وقيل آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردأه. وقال ابن التين: الحثالة سقط الناس وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير والثمر وغيرهما. وقال الداودي ما يسقط من الشعير عند الغربلة ويبقى من التمر بعد الأكل. قوله: لا يباليهم الله باله: قال الخطابي: أي لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً.

فائدة: قال ابن بطال: من الحديث أن موت الصالحين من أشراط الساعة وفيه الندب إلى الاقتداء بأهل الخير والتحذير من مخالفتهم خشية أن يصير من خالفهم ممن لا يعبأ الله به وفيه أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشر. واستدل به على جواز خلو الأرض من عالم الحق لا يبقى إلا أهل الجهل صرفاً. ويؤيده الحديث الآتي في الفتن "حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جُهالاً"

10- باب: ما يتقي من فتنة المال. وقول الله تعالى{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}

6435- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «تعس عبد الدينار والدّرهم والقطيفة والخميصة إن أُعطي رضي وإن لم يعط لم يرض». [أطرافه في: 2887].

6436- عن ابن عباس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لو كان لأبن آدم واديان من المال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

6440- عن أُبيّ قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت "ألهاكم التكاثر".

قوله: من فتنة المال: أي الإلتهاء به. قوله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة: أي تشغل البال عن القيام بالطاعة وكأنه أشار بذلك إلى ما أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم عن كعب بن عياض

"سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال" وأما الفتنة بالولد فورد فيه ما أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث بريده قال"كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يعثران فنزل عن المنبر فحملهما فوضعهم بين يديه ثم قال: صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة". قولـه: تعـس: أي سقط والمراد هنا هلك وقال ابن الأنباري التعس الشر قال تعالى "فتعساً لهم" أراد ألزمهم الشر وقيل التعس البعد أي بعداً لهم. قولـه: عبد الدينار: أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده قال الطيبي: خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصاً ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة. قولـه: إن أُعطي – إلخ: يؤذن بشدة الحرص على ذلك. قولـه: والقطيفـة: هي الثوب الذي لـه خمل والخميصة الكساء المربع وفي رواية "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش" وقولـه وانتكس أي عاوده المرض وقال الطيبي: فيه الترقي في الدعاء عليه لأنه إذا تعس انكب على وجهه فإذا انتكس انقلب على رأسه وقولـه "إذا شيك" أي إذا دخلت فيه شوكة لم يجد من يخرجها بالمنقاش ويحتمل أن يريد لم يقدر الطبيب أن يخرجها وفيه إشارة إلى الدعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة وسوغ الدعاء عليه كونه قصر عمله على جمع الدنيا وأشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات وقال الطيبي: إنما خص إنتقاش الشوكة بالذكر لأنه أسهل ما يتصور من المعاونة فإذا انتفى ذلك الأسهل انتفى ما فوقه بطريق الأولى.

الحديث الثاني: ولا يملأ جوف ابن آدم: في رواية "نفس" وفي رواية "ولا يشبع" وفي رواية "ولا يسُد جوف" وفي رواية "ولا يملأ عين" وفي رواية "ولا يملأ فاه" وفي رواية "ولا يملأ بطن" قال الكرماني: ليس المراد الحقيقة في عضو بعينه بقرينة عدم الانحصار في التراب إذ غيره يملؤه أيضاً بل هو كناية عن الموت لأنه مستلزم للامتلاء فكأنه قال لا يشبع من الدنيا حتى يموت فالغرض من العبارات كلها واحد وهي من التفنن في العبارة. قلت: نسبة الامتلاء للجوف واضحة والبطن بمعناه وأما النفس فعبر بها عن الذات وأطلق الزاد وأراد البطن وأما النسبة إلى الغم فلكونه الطريق إلى الوصول للجوف ويحتمل أن يكون المراد بالنفس العين لأنها الأصل في الطلب لأنه يرى ما يعجبه فيطلبه ليجوزه إليه وخص البطن في أكثر الروايات لأن أكثرها يطلب المال لتحصيل المستلذات وأكثرها يكون للأكل والشرب. وقال الطيبي: كأنه قيل ولا يشبع من خُلق التراب إلا بالتراب ويحتمل أن تكون الحكمة في ذكر التراب دون غيره أن المرء لا ينقضي طمعه حتى يموت فإذا مات كان من شأنه أن يدفن فإذا دفن صُب عليه التراب فملأ جوفه وفاه وعينيه ولم يبق منه موضع يحتاج إلى التراب غيره. قولـه: ويتوب الله على من تـاب: أي أن الله يقبل التوبة من الحريص كما يقبلها من غيره.

الحديث الثالث: قولـه: كنا نرى: أي نظن. أي نعتقد.

قولـــه: هذا: لم يبين ما أشار إليه بقولـه هذا وقد بينه في رواية "كنا نرى هذا الحديث من القرآن: لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا". قولـــه: حتى نزلت ألهاكم التكاثر: قال ابن بطال: لأن الله فطر الناس على حب المال والولد فلهم رغبة في الاستكثار من ذلك ومن لازم ذلك عقل عن القيام بما أمر حتى يفجأة الموت. وفيه ذم الحرص والشره.

11- باب: قول النبي ﷺ: «هذا المال خضره حلوه»

وقال الله تعالى{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِـــنَ الـــذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.

- روى معلقا ووصله الدار قطني: قال عمر: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه.

6441- تقدم في كتاب فرض الخمس حديث [3143].

قولـــه: خضره حلوه: العرب تسمى كل شيء مشرف أخضر وقال ابن الأنباري قولـه "خضره حلوه" ليس هو صفه للمال وإنما هو للتشبيه كأنه قال المال كالبقله الخضراء الحلوة. قولـــــه: زين للناس حب الشهوات – إلخ: قيل الحكمة في ترك الإفصاح بالذي زين أن يتناول اللفظ جميع من تصح نسبة التزيين إليه. وإن كان العلم أحاط بأنه سبحانه وتعالى هو الفاعل بالحقيقة فهو الذي أوجد الدنيا وما فيها وهيأها للانتفاع وجعل القلوب مائلة إليها وإلى ذلك الإشارة بالتزيين ليدخل فيه حديث النفس ووسوسة الشيطان ونسبة ذلك إلى الله باعتبار الخلق والتقدير والتهيئة ونسبة ذلك إلى الشيطان باعتبار ما أقدره الله عليه من التسلط على الآدمي بالوسوسة الناشيء عنها حديث النفس. وقال ابن التين بدأ في الآية بالنساء لأنهن أشد الأشياء فتنة للرجال. قولـــه: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا – إلخ: هذا الأثر إشارة إلى أن فاعل التزيين المذكور في الآية هو الله وأن تزيين ذلك بمعنى تحسينه في قلوب بني آدم وأنهم جبلوا على ذلك لكن منهم من استمر على ما طبع من ذلك وانهمك فيه وهو المذموم ومنهم من راعى فيه الأمر والنهي ووقف عندما حُد لـه من ذلك بمجاهدة نفسه بتوفيق الله لـه فهذا لم يتناله الذم ومنهم من ارتقى عن ذلك فزهد فيه بعد أن قدر عليه وأعرض عنه فهذا هو المقام المحمود.

12- باب: ما قدّم من ماله فهو له.

6442- عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «أيكم مالُ وارثِهِ أحبُ إليه مـــن مالـــه» قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال: «فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما آخر».

قولـــه: مَال وارثه أحب إليه من ماله: أي أن الذي يخلفه الإنسان من المال وان كان هو في الحال منسوبا إليه فإنه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوبا للوارث فنسبته للمالك في حياته حقيقية ونسبته للوارث في حياة المورث مجازية ومن بعد موته حقيقية. قولـــه: فإن ماله ما قـــدم: أي هو الذي يضاف إليه في الحياة وبعد الموت بخلاف المال الذي يخلفه.

فائدة: قال ابن بطال: فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكاً للوارث فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الإنتفاع به إن سلم من تبعته ولا يعارضه قوله ﷺ لسعد "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عاله" لأن حديث سعد محمول على من تصدق بماله كله أو معظمه في مرضه وحديث ابن مسعود في حق من تصدق في صحته وشحه.

13- **باب: المكثرون هم المقلون** وقول الله تعالى{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}.

6443- تقدم في حديث [6268].

قوله: المكثرون هم المقلون: المراد بالقلة قلة الثواب وكل من قل ثوابه فهو خاسر بالنسبة لمن كثر ثوابه. قوله: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها – إلخ: أختلف في الآية فقيل: هي على عمومها في الكفار وفيمن يرائي بعمله من المسلمين وقد استشهد بها معاوية لصحة الحديث الذي حدث به أبو هريرة مرفوعاً في المجاهد والقارئ والمتصدق لقوله تعالى لكل منهم "إنما عملت ليقال فقد قيل بل هي في حق الكفار خاصة بدليل الحصر في قوله في الآية التي تليها "أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار" والمؤمن في الجملة مآله إلى الجنة بالشفاعة أو مطلق العفو والوعيد في الآية بالنار وإحباط العمل وبطلانه إنما هو للكافر وأجيب عن ذلك بأن الوعيد بالنسبة إلى ذلك العمل الذي وقع الرياء فيه فيجازي فاعله بذلك إلا إن يعفو الله عنه وليس المراد إحباط جميع أعماله الصالحة التي لم يقع فيها رياء. والحاصل أن من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له وجوزي في الآخرة بالعذاب لتجريده قصده إلى الدنيا وإعراضه عن الآخرة.

14- **باب: قول النبي ﷺ: «ما يسُرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً»**

6444- عن أبو ذر قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرّة المدينة فاستقبلنا أحدُ فقال: «يا أبا ذر» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «ما يسرني أن عند مثل أحد هذا ذهباً تمضي عليّ ثالثه وعندي منه دينار إلا شيئاً أرصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه» ثم مشى ثم قال: «أن الآكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا – عن يمينه وعن شماله ومن خلفه – وقليل ما هم» ثم قال لي: «مكانك لا تبرح حتى آتيك» ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى فسمعتُ صوتاً قد ارتفع فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي ﷺ فأردت أن آتيه فتذكرت قوله لي: «لا تبرح حتى آتيك» فلم أبرح حتى آتاني قلت يا رسول الله لقد سمعت صوتاً تخوفت فذكرت له فقال: «وهل سمعته؟» قلت نعم. قال: «ذاك جبريل آتاني فقال: من مات من أُمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق». [أطرافه في: 1237].

6445- عن أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «لو كان لي مثل أُحدٍ ذهباً ما يسرني أن لا تُمر عليّ ثلاثُ ليلٍ وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصُدهُ لدين».

قوله: تمضي على ثالثة: أي ليلة ثالثة. قوله: إلا شيئاً أرصده لدين: أي أعده أو أحفظه. قوله: إلا أن أقول به في عباد الله: هو استثناء بعد استثناء فيفيد الاثبات فيؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الإنفاق فيلزم محبة وجودة مع الإنفاق فمادام الإنفاق مستمراً لا يكره وجود المال وإذا انتفي الإنفاق ثبتت كراهية وجود المال ولا يلزم من ذلك كراهية حصول شيء آخر ولو كان قدر أحد أو أكثر مع استمرار الإنفاق. قوله: الأكثرين هم المقلون يوم القيامة: المراد الأكثار من المال والإقلال من ثواب الآخرة وهذا في حق من كان مكثراً ولم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعده من الإنفاق. قوله: ثم قال لي: مكانك: أي ألزم مكانك وقوله "لا تبرح" تأكيد لذلك وقوله "حتى آتيك" غاية للزوم المكان المذكور. قوله: ثم انطلق في سواد الليل: فيه إشعار بأن القمر كان قد غاب.

قوله: حتى تواري: أي غاب شخصه. قوله: فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي ﷺ: أي تعرض له بسوء. قوله: فأردت أن آتية: أي أتوجه إليه. قوله: ذاك جبريل: أي الذي كنت أخاطبة أو ذلك صوت جبريل.

فائدة: في التقييد بالثلاثة تتميم ومبالغة في سرعة الإنفاق، وفيه أدب أبي ذر مع النبي ﷺ وترقبه أحواله وشفقته عليه حتى لا يدخل عليه أدنى شيء مما يتأذى به. وفيه حُسن الأدب مع الأكابر وأن الصغير إذا رأى الكبير منفرداً ألا يتسور عليه ولا يجلس معه إلا بإذن منه. وفيه المراجعة في العلم لما تقرر عند الطالب في مقابلة ما يسمعه مما يخالف ذلك لأنه تقرر عند أبي ذر من الآيات والآثار في وعيد أهل الكبائر بالنار وبالعذاب فلما سمع أن من مات لا يشرك بالله دخل الجنة استفهم عن ذلك بقوله "وإن زنى وإن سرق" واقتصر على هاتين الكبيرتين لأنهما كالمثالين فيما يتعلق بحق الله وحق العباد. وفي الحديث أيضاً الحث على وفاء الديون وأداء الأمانات.

15- باب: الغنى غِنى النفس وقول الله تعالى{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ – إلى قوله – هُمْ لَهَا عَامِلُونَ}

6446- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».

قوله: الغنى غنى النفس: أي سواء كان المتصف بذلك قليل المال أو كثيرة والغنى هو الكفاية. قوله: أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين – الآية: المعنى أيظنون أن المال الذي نرزقهم إياه لكرامتهم علينا إن ظنوا ذلك أخطئوا بل هو استدراج كما قال تعالى:{وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا} والإشارة في قوله "بل قلوبهم في غمرة من هذا" أي من الاستدراج المذكور وأما قوله "ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون" فالمراد

به ما يستقبلون من الأعمال من كفر أو إيمان. وقال السّدى المعنى كتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لتحق عليهم كلمة العذاب. ومناسبة الآية للحديث أن خيرية المال ليست لذاته بل بحسب ما يتعلق به وإن كان في نفسه غنياً لم يتوقف في صرفه في الواجبات والمستحبات من وجوه البر والقربات وإن كان في نفسه فقيراً أمسكه وامتنع من بذلة فيما أمر به خشية من نفاده فهو في الحقيقة فقير صورة ومعنى وإن كان المال تحت يده لكونه لا ينتفع به لا في الدنيا ولا في الأخرى بل ربما كان وبالاً عليه. قولـه: **كثرة العرض**: هو ما ينتفع به من متاع الدنيا ويطلق بالاشتراك على ما يقابل الجوهر وعلى كل ما يعرض للشخص من مرض ونحوه وقال أبو عبيد: العروض الأمتعة وهي ما سوى الحيوان والعقار وما لا يدخله كيل ولا وزن وهكذا حكاه عياض. قولـه: **إنما الغنى غنى النفس**: قال ابن بطال: المعنى ليس حقيقة الغنى كثرة المال لأن كثيراً ممن وسّع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه فكأنه فقير لشدة حرصه وإنما حقيقة الغنى غنى النفس وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب فكأنه غني وقال القرطبي المعنى أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزّت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال الدناءة همته وبخله ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدرة عندهم فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح في الطلب ولا يلحف في السؤال بل يرضى بما قسم الله له. والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطى بل هو أبداً في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه. ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف فكأنه فقير من المال لأنه لم يستغن بما أعطي فكأنه ليس بغني.

16- باب: فضل الفقر

6451- عن عائشة قالت: لقد توفى النبي ﷺ : «**وما في رفّي من شيء يأكلهُ ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍ لي فأكلت منه حتى طال عليّ فكِلته ففني**».

قولـه: **فضل الفقر**: قيل أشار بهذه الترجمة عقب التي قبلها إلى تحقيق محل الخلاف في تفضيل الفقير على الغني أو عكسه لأن المستفاد من قوله "الغنى غنى النفس" الحصر في ذلك فيحمل كل ما ورد في فضل الغني على ذلك فمن لم يكن غني النفس لم يكن ممدوحاً بل يكون مذموماً فكيف يفضل. وكذا ما ورد في فضل الفقر لأن من لم يكن غني النفس فهو فقير النفس وهو الذي تعوذ النبي ﷺ منه والفقر الذي وقع فيه النزاع عدم المال والتقلل منه وأما الفقر في قوله تعالى{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**} فالمراد به احتياج المخلوق إلى الخالق فالأمر للمخلوقين أمر ذاتيّ لا ينفكون عنه والله هو الغني ليس بمحتاج لأحد. وقد تكلم ابن بطال هنا على مسألة التفضيل بين الغني والفقير فقال: طال النزاع في ذلك فمنهم من فضل

الفقر واحتج بأحاديث الباب وغيرها واحتج من فضل الغنى بما تقدم من قبل باب في قوله "إن المكثرين هم الأقلون" وحديث سعد "إنك إن تذر ورثتك أغنياء - " وحديث كعب بن مالك "أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك" وحديث "ذهب أهل الدثور بالأجور - وفيه - ذلك فضل الله" وحديث عمرو بن العاص عند مسلم "نعم المال الصالح للرجل الصالح" قال: وأحسن ما رأيت في هذا قول أحمد بن نصر الداودي: الفقر والغنى محنتان من الله يختبر بهما عبادة في الشكر والصبر كما قال تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}، وقال تعالى{وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} وثبت أنه ﷺ كان يستعيذ من "شر فتنة الفقر ومن شر فتنة الغنى" وحاصلة أن الفقير والغنى متقابلان لما يعرض لكل منهما في فقره وغناه من العوارض فيمدح أو يذم والفضل كله في الكفاف لقوله تعالى{وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} وقال ﷺ "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً" أهـ. وممن جنح إلى تفضيل الكفاف القرطبي فقال: جمع الله سبحانه وتعالى لنبيه الحالات الثلاث. الفقر والغنى والكفاف. فكان الأول أول حالاته فقام بواجب ذلك من مجاهدة النفس ثم فتحت عليه الفتوح فصار بذلك في حد الأغنياء فقام بواجب ذلك من بذله لمستحقه والمواساة والإيثار مع اقتصاره منه على ما يسد ضرورة عياله وهي صورة الكفاف التي مات عليها. وهي حالة سليمة من الغنى المطغي والفقر المؤلم. وأيضاً فصاحبها معدود في الفقراء لأنه لا يترفه في طيبات الدنيا بل ويجاهد نفسه في الصبر عن القدر الزائد على الكفاف فلم يفته من حال الفقر إلا السلامة من قهر الحاجة وذل المسئلة أهـ. ويؤيده ما تقدم من الترغيب في غنى النفس وما أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رفعة "وأرض بما قسم لك تكن أغنى الناس" وأصح ما ورد في ذلك ما أخرجه مسلم عن ابن عمرو رفعه "قد أفلح من هُدى إلى الإسلام ورزق الكفاف وقنع" قال النووي: فيه فضيلة الكفاف وهو الكفاية بلا زيادة ولانقصان. وقال القرطبي: هو ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات ولا يلحق بأهل الترفهات ولهذا قال ﷺ "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً" أي أكفهم من القوت بما لا يرهقهم إلى ذل المسألة ولا يكون فيه فضول تبعث على الترفه والتبسط في الدنيا. وفيه حجة لمن فضل الكفاف لأنه إنما يدعو لنفسه وآله بأفضل الأحوال وقد قال "خير الأمور أوساطها". أهـ. وقال ابن الجوزي صورة الاختلاف في فقير ليس بحريص وغني ليس بممسك إذا لا يخفي أن الفقير القانع أفضل من الغني البخيل وأن الغني المنفق أفضل من الفقير الحريص. فالمال ليس محذوراً لعينة بل لكونه قد يعوق عن الله وكذا العكس. وإن أخذت بالأكثر فالفقير عن الخطر أبعد لأن فتنة الغني أشد من فتنة الفقر ومن العصمة أن لا تجد أهـ.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب النكاح حديث [5091] وكتاب الجنائز حديث [1276] وكتاب بدء الخلق حديث [3241] وكتاب الأطعمة حديث [5386].

17- باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا.

6452- عن أبي هريرة كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض

من الجوع وإن كنت لأشُدّ الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمرّ ولم يفعل ثم مرّ بي عمر فسألته ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني، فمرّ ولم يفعل ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال يا: «أباهر» قلت لبيك رسول الله قال: «الحق» ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبناً في قدح فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال: «أباهر» قلت لبيك يا رسول الله قال: «الحق إلى أهل الصفة فادعوهم لي» قال: وأهل الصفة أضيافُ الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقه بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدّ. فأتيتهم فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال: «يا أباهر» قلت لبيك يا رسول الله قال: «خذ فأعطهم» فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يَروي ثم يُرد عليّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى بروي ثم يرد عليّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسم فقال: «أباهر» قلت لبيك يا رسول الله قال: «بقيت أنا وأنت» قلت صدقت يا رسول الله قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت فقال: «اشرب» فشربت فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً قال فأرني فأعطيته القدح: «فحمد الله وسمي وشرب الفضلة». [أطرافه في: 5375].

6455- عن عائشة قالت: «ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر».

6456- عن عائشة قالت: كان فراش رسول الله ﷺ من أدمٍ وحشوه ليف.

6457- عن قتاده قال: كنا نأتي أنس وخبّازُه قائم وقال كلوا فما أعلم النبي ﷺ : «رأى رغيفاً مرفقاً حتى لحق بالله ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط». [أطرافه في: 5385].

6459- عن عائشة قالت: إنا كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهله في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار فقلت: ما كان يُعيشّكم قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ : «جيران من الأنصار كان لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ في أبياهم فيسقيناة». [أطرافه في: 2567].

6460- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «اللهم أرزق آل محمد قوتا».

قوله: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه: أي في حياته. قوله: وتخليهم عن الدنيا: أي عن ملاذها والتبسط فيها. قوله: إن كنت لاعتمد بكبدي على الأرض من الجوع: أي ألصق بطني بالأرض كناية عن سقوطه إلى الأرض مغشياً وفي رواية "فخررت على وجهي من الجهد والجوع" وفي رواية "لقد رأيتني وإني لأخّر ما بين المنبر والحجرة من الجوع مغشياً عليّ

فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يري أن بي الجنون وما بي إلا الجوع". قولـه: وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع: قال العلماء فائدة شد الحجر المساعدة على الاعتدال ولانتصاب أو المنع من كثرة التحلل من الغذاء الذي في البطن لكون الحجر بقدر البطن فيكون الضعف أقل أو لتقليل حرارة الجوع ببرد الحجر. قولـه: مـا سـألته إلا ليشـبعني: أي يطلب مني أن أتبعه ليطعمني. قولـه: وعرف ما في نفسي وما في وجهي: كأنه عرف من حال وجهه ما في نفسه من احتياجه إلى ما يسد رمقه. قولـه: وأهل الصفة أضـياف الإسـلام: قاله شارحاً لحال أهل الصفة وللسبب في استدعائهم فإنه ﷺ كان يخصهم بما يأتيه من الصدقة ويشركهم فيما يأتيه من الهدية. قولـه: ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُد: يشير إلى قوله تعالى{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَـدْ أَطَـاعَ اللّهَ}. قولـه: فحمـد الله وسمـى: أي حمد الله على ما بقي به من البركة التي وقعت في اللبن المذكور مع قلته حتى روى القوم كلهم وأفضلوا وسمى في ابتداء الشرب. قولـه: وشرب الفضلة: أي البقية.

فائدة: في الحديث استحباب الشرب من قعود وأن خادم القوم إذا دار عليهم بما يشربون يتناول الإناء من كل واحد فيدفعه هو إلى الذي يليه ولا يدع الرجل يناوله رفيقه لما في ذلك من نوع امتهان الضيف. وفيه أن كتمان الحاجة والتلويح بها أولى من إظهارها والتصريح بها. وفضل أهل الصفة وشرب الساقي آخرا وشرب صاحب المنزل بعده.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب الأطعمة حديث [5416].

18- باب: القصد والمداومة على العمل

6465- عن عائشة أنها قالت: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أدومها وإن قل – وقال – أكلفوا من الأعمال ما تطيقون». [أطرافه في: 1969].

6466- عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قلت: يا أم المؤمنين كيف كان عمل النبي ﷺ هل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا. كان عمله ديمه وأيّكم يستطيع ما كان النبي ﷺ يستطيع.

6467- عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحداً الجنة عملـه» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة».

6468- عن أنس قال: إن رسول الله ﷺ صلى لنا يوماً الصلاة ثم رقى المنبر فأشار بيده قبل قبلة المسجد فقال: «قد أُديت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار مُمثلتين في قُبل هذا الجدار فلم أرَ كاليوم في الخير والشر فلم أرَ كاليوم في الخير والشر». [أطرافه في: 93].

قولـه: القصد: هو سلك الطريق المعتدلة وفسروا السداد بالقصد وبه تظهر المناسبة. قولـه: المداومة على العمل: أي الصالح.

الحديث الثالث: قولـه: لا يدخل أحدا الجنة عمله: قال ابن بطال المراد أصل الدخول. قلت

ويظهر لي في الجمع بين الآية والحديث وهو أن يحمل الحديث على أن العمل لا يستفيد به العامل ما لم يكن مقبولاً وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله "ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" أي من العمل المقبول وقال النووي: أن التوفيق للأعمال وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث. قوله: ولا أنت يا رسول الله: قال الكرماني: إذا كان كل الناس لا يدخلون الجنة إلا برحمة الله فوجه تخصيص رسول الله ﷺ بالذكر أنه. إذا كان مقطوعاً له بأنه يدخل الجنة ثم لا يدخلها إلا برحمة الله فغيره يكون في ذلك بطريق الأولى. قوله: يتغمدني: قال أبو عبيد: المراد الستر. قوله: سددوا: أي اقصدوا السداد أي الصواب أي إتباع السنة من الإخلاص وغيره ليقبل عملكم فينزل عليكم الرحمة. قوله وقاربوا: أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا.

الحديث الأول: قوله: اكلفوا: المراد به الإبلاغ بالشيء إلى غايته. قوله: ما تطيقون: أي قدر طاقتكم.

الحديث الثاني: قوله: هل كان يخص شيئاً من الأيام: أي بعبادة مخصوصة لا يفعل مثلها في غيره واستشكل ذلك بما ثبت عنها أن أكثر صيامه كان في شعبان وأجيب بأن المراد تخصيص عباده معينة في وقت خاص واكثارة الصيام إنما كان يعتريه الوعك كثيراً ويكثر السفر فيفطر بعض الأيام التي كان يريد أن يصومها فينفق أن لا يتمكن من قضاء ذلك إلا في شعبان. قوله: كان عمله ديمه: أي دائماً. قوله: وأي يستطيع – الخ: أي في العبادة كمية كانت أو كيفية من خشوع وخضوع واخلاص.

الحديث الرابع: قوله: لقد أريت الآن – الخ: في الحديث إشارة إلى الحث على مداومة العمل لأن من مُثّل الجنة والنار بين عينيه كان ذلك باعثاً له على المواظبة على الطاعة والإنكفاف عن المعصية.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الجنائز حديث [1132] وكتاب الإيمان حديث [39].

19- باب: الرجاء مع الخوف

6469- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلُهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**». [أطرافه في: 6000]

قوله: الرجاء مع الخوف: أي استحباب ذلك فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى المكر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم. والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليُحسن ظنه بالله ويرجوا أن يمحو عنه ذنبه وكذا

من وقع منه طاعة يرجو قبولها وأما من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل ومن علامة الشقاء أن تعصى وترجوا أن تنجو. وقد أخرج ابن ماجة عن عائشة "قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله اهو الذي يسرق ويزني؟ قال: لا "ولكنه الذي يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف أن لا يقبله منه ".

فائدة: مطابقة الحديث للترجمة أنه اشتمل على الوعد والوعيد المقتضيين للرجاء والخوف فمن علم أن من صفات الله تعالى الرحمه لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه وذلك باعث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيره وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة.

20- **باب: الصبر عن محارم الله. قال تعالى**{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}

- روي معلقاً ووصلة أحمد: قال عمر وجد خير عيشنا بالصبر.

6470- عن أبي سعيد أن أناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فلم يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفد ما عنده فقال لهم حين نفد كل شيء أنفق بيديه: «**ما يكون عندي من خير لا أدّخرهُ عنكم وإنه من يستعفف يُعفه الله ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يُغنه الله ولن تعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر**». [أطرافه في: 1469].

قوله: **الصبر عن محارم الله**: يدخل في هذا المواظبة على فعل الواجبات والكف عن المحرمات. وذلك ينشأ عن علم العبد بقبحها وأن الله حرمها صيانة لعبده عن الرذائل فيحمل ذلك العاقل على تركها ولو لم يرد على فعلها وعيد فإن المعصية غالباً تكون سبباً لزوال النعمة. وأحسن ما وصف به الصبر أنه حبس النفس عن المكروه وعقد اللسان عن الشكوى والمكابدة في تحمله وانتظار الفرج وقد أثنى الله على الصابرين في عدة آيات. وتختلف معانية بتعلقاته فإن كان عن معصية سُميّ صبراً وإن كان في لقاء عدو سُمّي شجاعة وإن كان عن كلام سُميّ كتماناً وإن كان عن تعاطي ما نهى عنه سُميّ عفه وهو المقصود هنا. قوله: **حتى نفد**: أي فرغ. قوله: **ما يكون عندي من خير**: أي مال قوله: **لا أدخره عنكم**: أي لا أجعله ذخيرة لغيركم معرضاً عنكم. قوله: **من يستعف**: أي يمتنع عن السؤال. قوله: **يعفه الله**: أي أنه يجازيه على استعفافه بصيانة وجهة ودفع فاقته. قاله القرطبي. قوله: **ومن يستغن**: أي بالله عمن سواه. قوله: **يُغنة**: أي فإنه يعطيه ما يستغني به عن السؤال ويخلق في قلبة الغنى فإن الغنى غنى النفس كما تقدم. قوله: **ومن يتصبر**: أي يعالج نفسه على ترك السؤال ويصبر إلى أن يحصل له الرزق. قوله: **يصبره الله**: أي فإنه يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له ويذعن لتحمل الشدة فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه. قوله: **خيراً وأوسع من الصبر**: قال ابن الجوزي لما كان التعفف يقتضي ستراً لحال عن الخلق وإظهار الغنى عنهم فيكون صاحبه معاملاً لله في الباطن فيقع له الربح على قدر الصدق في ذلك وإنما جعل الصبر خير العطاء لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه وإلزامها بفعل ما

تكره.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب التهجد حديث [1130] ووجه مناسبته للترجمة أن الشكر واجب وترك الواجب حرام وفي شغل النفس بفعل الواجب صبر عن فعل الحرام والحاصل أن الشكر يتضمن الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية.

21- باب: قوله تعالى{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}

6472- تقدم في كتاب الطب حديث [5705].

قوله: ومن يتوكل على الله فهو حسبه: استعمل الآية ترجمة لتضمنها الترغيب في التوكل وكأنه أشار إلى تقييد ما أطلق في الباب قبله وأن كلا من الاستغناء والتصبر والتعفف إذا كان مقرونا بالتوكل على الله الذي ينفع وينجع والمراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية "وما من دابة إلا على الله رزقها" وليس المراد به ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل. وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال هذا رجل جهل العلم فقد قال النبي ﷺ "إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي" وقال "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا" فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق قال وكان الصحابة يتجرون ويعملون في تخيلهم والقدوة بهم.

22- باب: ما يُكره من قيل وقال.

6473- تقدم في حديث [5975].

قوله: ما يكره من قيل وقال: قال أبو عبيد المراد أنه نهى عن الإكثار بما لا فائدة فيه من الكلام. وقال الطبري: الحكمة في النهي عن ذلك أن الكثرة عن ذلك لا يؤمن معها وقوع الخطأ. قلت وفي الترجمة إشارة إلى أن جميع ذلك لا يكره لأن من عمومه ما يكون في الخبر المحض فلا يكره.

23- باب: حفظ اللسان: وقول الله تعالى{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}

6474- عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**». [أطرافه في: 6807].

6476- عن أبي شُريح الخُزاعي قال - قال النبي ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقل خيراً أو ليسكت**». [أطرافه في: 6019].

6477- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق**». [أطرافه في: 6478].

6478- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**».

[أطرافه في: 6477].

قولـــه: حفظ اللسان: أي عن النطق بما لا يسوغ شرعاً مما لا حاجة للتكلم بـه. قولـــه: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد: قال ابن بطال: جاء عن الحسن أنهما يكتبان كل شيء. قولـــــه: مـــن يضمن: بمعنـى الوفاء يترك المعصية فأطلق الضمان وأراد لازمـه وهو أداء الحق الذي عليـه فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه وأدى الحق الذي فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام. قولـــه: لحييه: هما العظمان في جانبي الفم والمراد بما بينهما اللسان وما يتأتى به النطق وبما بين الرجلين الفرج. وقال ابن بطال: دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر.

الحديث الثاني: قولـــه: بالكلمة: أي الكلام المشتمل على ما يفهم الخير أو الشر سواء طال أم قصر كما يقال كلمة الشهادة. وكما يقال للقصيدة كلمة فلان. قولـــه: ما يتبين فيهـــا: أي لا يتطلب معناها. أي لا يثبتها بفكرة ولا يتأملها حتى يتثبت فيها فلا يقولها إلا أن ظهرت المصلحة في القول. قولـــه: يزل بها: أي يسقط.

الحديث الثالث: قولـــه: لا يلقى لها بالاً: أي لا يتأملها بخاطرة ولا يتفكر في عاقبتها ولا يظن أنها تؤثر شيئاً. قولـــه: يهوى: قال عياض: المعنى ينزل فيها ساقطاً قال ابن عبد البر: الكلمة التي يهوى صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر. وزاد ابن بطال بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سبباً لهلاكه وإن لم يرد القائل ذلك لكنها ربما أدت إلى ذلك فيكتب على القائل أثمها والكلمة التي ترفع بها الدرجات ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة أو يفرج بها عنه كربة أو ينصر بها مظلوماً وقال غيره في الأولى: هي الكلمة عند ذي سلطان يرضيه بها فيما يسخط الله، قال ابن التين: هذا هو الغالب وربما كانت عند غير ذي السلطان مما يتأتي منه ذلك.

فائدة: ورد في فضل الصمت عده أحاديث منها حديث سفيان بن عبد الله الثقفي "قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ قال هذا وأخذ بلسانه" أخرجه الترمذي وتقدم في الإيمان "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" ولأحمد وابن حبان عن البراء "وكف لسانك إلا من خير" وعن عقبة بن عامر "قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال أمسك عليك لسانك" أخرجه الترمذي. وفي حديث معاذ "ألا أخبرك بملاك الأمر كله؟ كف هذا وأشار إلى لسانه قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال وهل يُكبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم" أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه. وفي حديث أبي ذر "عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان" أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم. وعن ابن عمر "من صمت نجا" أخرجه الترمذي. وعن أبي هريرة "من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنية" أخرجه الترمذي.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب الأدب حديث [6018].

24- باب: البكاء من خشية الله ﷻ.

6479- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سبعة يُظلهم الله في ظله رجل ذكر الله ففاضت عيناهُ». [أطرافه في: 660].

قوله: رجل ذكر الله ففاضت عيناه: أي ذكر الله بقلبه من التذكر أو بلسانه من الذكر وخالياً أي من الخلو لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء والمراد خالياً من الإلتفات إلى غير الله ولو كان في ملاء وقوله ففاضت عيناه أي بالدموع.

25- باب: الخوف من الله.

6480- تقدم في كتاب آحاديث الأنبياء حديث [3452].

قوله: الخوف من الله: هو من المقامات العلية وهو من لوازم الإيمان قال تعالى "وخافون إن كنتم مؤمنين وحديث "أنا أعلمكم بالله وأشدكم خشية" وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله "يخافون ربهم من فوقهم" والأنبياء بقوله "الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله". والخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها. ويدخل في الباب الحديث الذي قبله وفيه " ورجل دعته امرأة ذات جمال ومال فقال إني أخاف الله" وحديث الثلاثة أصحاب الغار فإن أحدهم الذي عف عن المرأة خوفاً من الله".

26- باب: الانتهاء عن المعاصي

6482- عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ : «مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العُريان فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة فأدلجوا على مَهلَهِم فنجوا وكذبته طائفة فصبّحهم الجيش فاجتاحهم». [أطرافه في: 7283].

6483- عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدّواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل الرجل يزعُهنّ ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها».

قوله: الانتهاء عن المعاصي: أي تركها أصلاً ورأساً والإعراض عنها بعد الوقوع فيها. قوله: مثلي: المثل الصفة العجيبة الشأن يوردها البليغ على سبيل التشبية لإرادة التقريب والتفهيم. قوله: بعيني: ذكر العينين إرشاداً إلى أنه تحقق عنده ما أخبر عنه تحقق من رأي شيئاً بعينه لا يعتريه وهم ولا يخالطه شك. قوله: أنا النذير العُريان: قيل الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه فانفلت إلى قومه فقال إني رأيت الجيش فسلبوني فرأوه عرياناً فتحققوا صدقه لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة ولا جرت عادته بالتعري فقطعوا بصدقة لهذه القرائن فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الداله على القطع بصدقة تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه. قوله: فالنجاء النجاء: أي أطلبوا النجاء بأن

تسرعوا الهرب إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش. قوله فأدلجوا: أي ساروا أول الليل أو ساروا الليل كله. قوله: فصبحهم الجيش: أي أتاهم صباحاً وكثر استعماله فيمن طرق بغته في أي وقت كان. قوله: فاجتاحهم: أي استأصلهم.

الحديث الثاني: قوله: استوقد: بمعنى أوقد وهو أبلغ والإضاءة فرط الإنارة. قوله: يزعهن: أي يدفعهن. قوله: فيقتحمن فيها: أي يدخلن وهو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبيت ويطلق على رمي الشيء بغته واقتحم الدار هجم عليها. قوله: بحجزكم: جمع حجزه وهي معقد الإزار ومن السراويل موضع التكة. قوله: عن النار: وضع المسبب موضع السبب لأن المراد أنه يمنعهم من الوقوع في المعاصي التي تكون سبباً لولوج النار. قوله: تقمحون فيها: التقدير أنا آخذ بحجزكم لأخلصكم من النار فجعلتم الغلبة مسببه عن الأخذ.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الإيمان حديث [10].

27- باب: قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»

6485- عن أبي هريرة كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

قوله: لو تعلمون ما أعلم – إلخ: المراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر ويوم القيامة. ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة والمراد به التخويف.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب العلم حديث [93].

28- باب: حُجبت النار بالشهوات

6487- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «حُجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكارة».

قوله: حجبت النار بالشهوات: أي غُطيت بها فكانت الشهوات سبباً للوقوع في النار. قوله: وحجبت الجنة بالمكارة: هو من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها وقد ورد إيضاح ذلك من وجه آخر عن أبي هريرة فأخرج أبو داود والترمذي والنسائي "لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها قال فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بها فحفت بالمكارة فقال ارجع إليها فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد قال اذهب إلى النار فانظر إليها فرجع فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد" والمراد بالمكارة هنا ما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركاً كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً وأطلق عليها المكارة لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه ومن جملتها الصبر على

المصيبة والتسليم لأمر الله فيها. والمراد بالشهوات ما يُستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه إما بالأصاله وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات ويلتحق بذلك الشبهات والإكثار مما أبيح خشية أن يوقع في المحرم فكأنه قال لا يوصل إلى الجنة إلا بإرتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات وهما مجوبتان فمن هتك الحجاب اقتحم.

29- باب: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعلِه والنار مثل ذلك.

6488- عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك».

قوله: شراك نعله: هو السير الذي يدخل فيه إصبع الرجل ويطلق أيضاً على كل سير وقى به القدم. قال ابن بطال: فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنة وأن المعصية مقربة إلى النار وأن الطاعة والمعصية قد تكون في أيسر الأشياء. وتقدم في هذا المعنى قريباً حديث "إن الرجل ليتكلم بالكلمة" فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط عليه الله بها.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب مناقب الأنصار حديث [3841] ومناسبته للترجمة خفيه وكأن الترجمة لما تضمنت ما في الحديث الأول من التحريض على الطاعة ولو قلت والزجر عن المعصية ولو قلت فيفهم أن من خالف ذلك إنما يخالفه لرغبه في أمر من أمور الدنيا وكل ما في الدنيا باطل فلا ينبغي للعاقل أن يؤثر الفاني على الباقي.

30- باب: لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه.

6490- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضل عليه».

قوله: في المال والخلق: أي الصورة ويحتمل أن يدخل في ذلك الأولاد والأتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا. وزاد مسلم "فهو أجدر أن تزدروا نعمة الله عليكم" أي هو حقيق بعدم الازدراء قال ابن بطال: هذا الحديث جامع لمعاني الخير لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها إلا وجد من هو فوقه فمن طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون أبداً في زيادة تقر به من ربه ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها ما هو أخس حالاً منه فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله إليه دون كثير ممن فضل بذلك من غير أمر أوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده. وقال غيره: في هذا الحديث دواء الداء لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسداً ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعياً إلى الشكر.

31- باب: من هَمّ بحسنة أو بسيئة.

6491- عن ابن عباس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هَمّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنه كاملة فإن هو هَمّ بها فعملها كتبها الله لـــه عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن هَمّ بسيئة فلم يعملها كتبـــها الله لـــه عنده حسنه كاملة فإن هو هَمّ بها فعملها كتبها الله لـــه سيئة واحدة**».

قولـــه: **من هم بحسنة أو بسيئة**: الهم ترجيح قصد الفعل وهو فوق مجرد خطور الشيء بالقلب قال ابن حبان: المراد بالهم هنا العزم. قولـــه: **ثم بين ذلك**: أي فصّله. قولـــه: **فلم يعملـــها**: يتناول نفي عمل الجوارح وأما عمل القلب فيحتمل نفيه أيضاً إن كانت الحسنة تكتب بمجرد الهم كما في معظم الأحاديث لا إن قيدت بالتصميم. قولـــه: **كتبها الله عنده**: أي عند الله للذي هم بالحسنة. وفيها نوعان من التأكيد: فأما العنديه فإشارة إلى الشرف وأما الكمال فإشارة إلى رفع توهم نقصها لكونها نشأت عن الهم المجرد قال النووي: "معنى كتبها الله" أي أمر الحفظة بكتابتها بدليل حديث أبي هريرة في التوحيد "إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها". قولـــه: **ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله لـــه عنده حسنة كاملة**: قال الخطابي: محل كتابة الحسنه على الترك أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه، لأن الإنسان لا يسمى تاركاً إلا مع القدرة ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه على الفعل مانع كأن يمشي إلى امرأة ليزني بها مثلاً فيجد الباب مغلقاً ويتعسر فتحه ومثله من تمكن من الزنا فلم ينتشر أو طرقة ما يخاف من أذاه عاجلاً. وقال الباقلاني إلى أن من عزم على المعصية بقلبة ووطنّ عليها نفسه أنه يأثم وحمل الأحاديث الواردة في العفو عمن هَمّ بسيئة ولم يعملها على الخاطر الذي يمر بالقلب ولا يستقر. وقال عياض بأن عامة السلف وأهل العلم على ما قال لاتفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب. وقالوا إن العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة لا السيئة التي هم أن يعملها ومما يدل على ذلك حديث "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبة" وهو أن يعاقب على عزمه بمقدار ما يستحقه ولا يعاقب عقاب من باشر القتل حساً.

32- باب: ما يتقي من مُحقرات الذنوب.

6492- عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعيُنكم من الشعر إن كنا لنُعّدها على عهد النبي ﷺ الموبقات قال البخاري: «**يعني بذلك المهلكات**».

قولـــه: **ما يتقي من محقـــرات الـــذنوب**: التعبير بالمحقرات وقع في حديث سهل رفعه "إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه" أخرجه أحمد. قولـــه: **هي أدق**: إشارة إلى تحقيرها وتهوينها أي تعملون أعمالاً تحسبونها هينة وهي عظيمة أو تؤول إلى العظم. قولـــه: **الموبقات**: أي الموبقه هي المهلكة. قال ابن بطال: المحقرات إذا كثرت صارت كباراً مع الإصرار.

33- باب: الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها.

6493- تقدم في حديث [2898].

قولـــه: الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها: قال ابن بطال في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل وإن كان هالكاً ازدادا عتواً فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء.

34- باب: العُزلة راحة من خلاط السوء

6494- تقدم في كتاب الجهاد والسير حديث [2786].

6495- تقدم في كتاب الإيمان حديث [19].

قولـــه: العزلة راحة للمؤمن من خـــلاط الســـوء: قال ابن المبارك قال عمر "خذوا حظكم من العزلة". وقال الجنيد مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة. وقال الخطابي لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر علي إزالته لكان ذلك خيراً كثيراً. وقال والعزلة والاختلاط تختلف باختلاف متعلقاتها فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشة ومحافظة دينه فالأولى لـه الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العبادة وشهود الجنازة ونحو ذلك. والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات ويجعل بمنزلـه الاحتياج إلى الغذاء والعشاء فيقتصر منه على ما لابد لـه منه فهو أروح للبدن والقلب.

35- باب: رفع الأمانة.

6497- عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من الســـنة» وحدثنا عن رفعها قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقـــى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنَفطِ فتراه مُنتبراً وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فـــلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة فيقال إن من بن فلان رجلاً أميناً ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلـــده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيّكم بايعت لئن كان مســـلماً رده عليّ الإسلام وإن كان نصرانياً ردة عليّ ساعية فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلان وفلانـــاً». [أطرافه في: 7086، 7276].

6498- عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة».

قولـــه: رفع الأمانة: هي ضد الخيانة والمراد برفعها إذهابها بحيث يكون الأمين معدوماً أو شبه معدوم. قال ابن التين: الأمانة كل ما يخفي ولا يعلمه إلا الله من المكلف وعن ابن عباس هي

الفرائض التي أمروا بها ونهوا عنها وقيل هي الطاعة وقيل التكاليف وقيل العهد. قولـه: وحدثنا عن رفعها: هذا هو الحديث الثاني الذي ذكر حذيفة أنه ينتظره وهو رفع الأمانة أصلاً حتى لا يبقى من يوصف بالأمانة إلا النادر. قولـه: فيظل أثرها: أي يصير والمعنى أن الأمانة تذهب حتى لا يبقى منها إلا الأثر الموصوف في الحديث. قولـه: الوكت: سواد في اللون. قولـه: المجـل: أثر العمل في اليد. قولـه: فنفط: أي ورم وامتلاء ماء. قولـه: بايعـت: قال الخطابي: تأوله بعض الناس على بيعة الخلافة وهذا خطأ وكيف يكون وهو يقول إن كان نصرانياً رده عليّ ساعية فهل يبايع النصراني على الخلافة وإنما أراد مبايعة للبيع والشراء. قولـه: ولقد أتى عليّ زمـان: يشير إلى أن حال الأمانة أخذ في النقص من ذلك الزمان وكانت وفاه سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان. قولـه: نصرانياً رده على ساعية: أي وإليه الذي أقيم عليه لينصف منه وأكثر ما يستعمل الساعي في ولاة الصدقة ويحتمل أن يراد به هنا الذي يتولى قبض الجزية. قولـه: إلا فلانـاً وفلانـاً: المعنى لست أثق بأحد آئتمنه على بيع ولا شراء إلا فلاناً وفلاناً. وهم من أهل العصر الأخير الذي أدركه وهم بالنسبة للعصر الأول أقل.

الحديث الثاني: قولـه: لا تكاد تجد فيها راحلة: أي لا تجد في مائلة إبل راحلة تصلح للركوب لأن الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وطيئاً سهل الانقياد وكذا لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقة ويلين جانبه وقال القرطبي الذي يناسب التمثيل أن الرجل الجواد الذي يحمل أثقال الناس عنهم ويكشف كربهم عزيز الوجود كالراحلة في الإبل الكثيرة.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب العلم حديث [59].

36- باب: الرياء والسُمعة.

6499- عن جندب قال: قال النبي ﷺ: «من سمّع سمّع الله به ومن يُرائي يُرائي الله به». [أطرافه في: 7152].

قولـه: الريـاء والسـمعة: الرياء والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها. والسُمعة المراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحُدّث به الناس. قولـه: من سمّع سمّع الله به – إلخ: قال الخطابي: معناه من عمل عملاً على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه. وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثاً عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب لـه في الآخرة. وقيل المراد من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلوا منزلته عندهم حصل لـه ما قصد وكان ذلك جزاءه على عمله ولا يثاب عليه في الآخرة.

37- باب: من جاهد نفسه في طاعة الله.

6500- تقدم في كتاب الجهاد والسير حديث [2856].

قولـــه: **من جاهد نفسه في طاعة الله**: يعني بيان فضل من جاهد والمراد كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة وبهذا تظهر مناسبة الترجمة لحديث الباب وقال ابن بطال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل قال الله تعالى{**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**} ويقع بمنع النفس عن المعاصي ويمنعها من الشبهات ويمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة. قلت: ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجره إلى الشبهات فلا يأمن أن يقع في الحرام. ونقل القشيري من شيخه أبي على الدقاق من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريق شمّه. وقال القشيري أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوف وحملها على غير هواها.

38- باب: التواضع

6501- عن أنس قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تُسمى العَضباءَ، وكانت لا تُسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء فقال رسول الله ﷺ : «**إنّ حقا على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه**».

6502- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله قال: من عادى لي وليّـاً فقـد آذنتـه بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافـل حـتى أُحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجلهُ التي يمشي بها وإن سألني لأُعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفـس المـؤمن يكرهُ الموت وأنا أكره مساءتهُ**».

قولـــه: التواضع: المراد إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه وقيل هو تعظيم من فوقه لفضله. قال ابن بطال: كل شيء هان على الله فهو في محل الضعة فحق على كل ذي عقل أن يزهد فيه ويقل منافسته في طلبة وقال الطبري في التواضع مصلحة الدين والدنيا فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالت بينهم الشحناء ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة.

الحديث الثاني: قولـــه: **من عادى لي ولياً**: المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته. قولـــه: **فقد آذنتـــه بـــالحرب**: أي أعلمته والإيذان الإعلام واستشكل وقوع المحاربة من الجانبين مع أن المخلوق في أسر الخالق والجواب أنه من المخاطبة بما يفهم فإن الحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكي إياه فأطلق الحرب وأراد لازمة أي أعمل به ما يعمله العدو والمحارب. قال الفاكهاني: في هذا تهديد شديد لأن من حاربه الله أهلكه وهو من المجاز البليغ لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه وإذا ثبت هذا في جانب المعاداه ثبت في جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله.

قولـه وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه: يستفاد منه أن أداء الفرائض

أحب الأعمال إلى الله. قال الطوفي: في الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر وتعظيمه والانقياد إليه فكان التقرب بذلك أعظم العمل. قولـه: يتقـرب إليّ: التقرب طلب القرب قال أبو القاسم القشيري: قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه. وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه وفي الآخرة في رضوانه. قولـه: بالنوافل حتى أُحبـه: ظاهرة أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة والجواب أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها.. قال الطوفي: الذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثاراً للخدمة فيجازي بالمحبة التي هي غاية مطلوب ما يتقرب بخدمته. وقال الفاكهاني: جرت العادة أن التقرب غالباً بغير واجب على المتقرب كالهدية بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضي ما عليه من دين. قولـه: فكنت سمعة الذي يسمع به – إلخ: قال الخطابي: هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده التي يباشرها بهذه الأعضاء وبتسير المحبة لـه فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعه ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره. ومن البطش فيما لا يحل لـه بيده ومن السعي إلى الباطل برجله. قولـه: لأُعيذنه: أي أعذته مما يخاف وقد استشكل بأن جماعة من الصالحين دعوا وبالغوا ولم يجابوا والجواب أن الإجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يقع لكن يتأخر لحكمة فيه وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب. قولـه: وما ترددت عن شيء أنا فاعلـه ترددي عن نفس المؤمن: قال الخطابي: التردد في حق الله غير جائز ولكن لـه تأويلات أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمراً ثم يبدو لـه فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد لـه من لقائة إذا بلغ الكتاب أجله لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه. والثاني أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترددي إياهم في نفس المؤمن. كما روي في قصة موسى وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده إليه مرة بعد أخرى. فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديباً فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الولد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربة لتأديبه فأريد نفيهمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد. قولـه: يكره الموت وأنا أكره مساءته: قال الجنيد: الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وكربة وليس المعنى أني أكره لـه الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته.

فائدة: أشكل وجه دخول هذا الحديث في باب التواضع. والجواب أن التقرب إلى الله بالنوافل لا يكون إلا بغاية التواضع لله والتوكل عليه ذكره الكرماني: قلت ومن قولـه "من عادى لي ولياً" لأنـه يقتضي الزجر عن معاداة الأولياء المستلزم لموالاتهم وموالاة جميع الأولياء لا تتأتى إلا بغاية التواضع إذ منهم الأشعث الأغبر الذي لا يؤبه لـه وقد ورد في الحث على التواضع عدة أحاديث صحيحة. منها حديث "إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد"

أخرجه مسلم وأبو داود. وحديث أبي هريرة رفعه "وما تواضع أحد لله تعالى إلا رفعه.

39- باب: قول النبي ﷺ: «بُعثت أنا والساعة كهاتين» {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

6503- تقدم في كتاب الطلاق حديث [5301].

قولـه: بعثت أنا والساعة كهاتين: المراد بالساعة هنا يوم القيامة والأصل فيها قطعة من الزمان وفي عرف أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزءاً من اليوم والليلة وقولـه: كهـاتين: عند الترمذي والطبري "السبابة والوسطى". قال عياض أشار بهذا إلى قلة المدة بينه وبين الساعة والتفاوت إما في المجاورة وإما في قدر ما بينهما.

40- باب: طلوع الشمس من مغربها (*)

6506- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ولتقومنّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيهِ فلا يطعمها». [أطرافه في: 85].

قولـه: حين لا ينفع نفس إيمانها: قال الطبري: المعنى لا ينفع كافراً لم يكن آمن قبل الطلوع إيمان بعد الطلوع ولا ينفع مؤمناً لم يكن عمل صالحاً قبل الطلوع عمل صالح بعد الطلوع لأن حكم الإيمان والعمل الصالح حينئذ حكم من آمن أو عمل عند الغرغرة وذلك لا يفيد شيئاً كما قال تعالى:{فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}. وثبت في الحديث "تقبل توبة العبد ما لم يبلغ الغرغرة" وقال ابن عطية في هذا الحديث دليل على أن المراد بالبعض في قوله تعالى{يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} طلوع الشمس من المغرب وإلى ذلك ذهب الجمهور قلت: وثبت في مسلم عن أبي هريرة رفعة "ثلاث إذا جرجرت لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: "طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض" فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أوّل الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنه بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي بقيام الساعة ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي لا تطلع فيه الشمس من المغرب. وقد أخرج مسلم عن ابن عمرو رفعه "أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فأيهما خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب". قلت والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تُميّز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة. قولـه: بلبن لقحته: هي ذات الدر من النوق. قولـه: يليط حوضه: أي جمع حجارة فصيّرها كالحوض ثم سدّ ما بينها من الفرج بالمدر ونحوه لينحبس الماء.

41- باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

6507- عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة - أو بعض أزواجه - إنا لنكره الموت قال: «ليس ذلك ولكنّ المؤمن إذا حضره الموت بُشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

قوله: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه: قال العلماء محبة الله لعبده إرادته الخير له وهدايته إليه وإنعامه عليه وكراهته له على الضد من ذلك. قوله: فليس شيء أحب إليه مما أمامه: أي ما يستقبله بعد الموت.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب المغازي حديث [4463].

42- باب: سكرات الموت.

6510- عن عائشة كانت تقول إن رسول الله ﷺ كان بين يديه دكوة - أو علبه - فيها ماء - فجعل يُدخل يده في الماء فيمسح بها وجهة ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ثم نصب يدهُ فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده.

6511- عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب جُفاه يأتون النبي ﷺ فيسألونه متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يعش هذا لا يُدركه الهرمُ حتى تقوم عليكم ساعتكم».

6512- عن أبي قتاده بن ربعي الأنصاري أنه كان يُحدث أن رسول الله ﷺ مُرّ عليه بجنازة فقال: «مُستريح ومُستراح منه» قالوا يا رسول الله ما المستريح والمُستراح منه؟ قال: «العبد المؤمن يستريح منه نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله ﷻ والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدّواب».

6514- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهلهُ وماله وعمله فيرجع أهلهُ وماله ويبقى عملهُ».

قوله: سكرات الموت: قال الراغب: السُكر حاله تعرض بين المرء وعقلة وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر ويطلق في الغضب والعشق والألم والنعاس والغش الناشئ عن الألم وهو المراد هنا. وفي الحديث أن شدة الموت لا تدل على نقص في المرتبة بل هي للمؤمن إما زيادة في حسناته وإما تكفير لسيآته وبهذا التقرير تظهر مناسبة أحاديث الباب للترجمة.

الحديث الثاني: قوله: جفاة: وصفهم بذلك لأن سكان البوادي يغلب عليهم الشطف وخشونة العيش فتجفو أخلاقهم غالباً. قوله: متى الساعة: في رواية مسلم "كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة؟ وكان ذلك لما طرق أسماعهم من تكرار اقترابها في القرآن فأرادوا أن يعرفوا تعيين وقتها. قوله: حتى تقوم عليكم ساعتكم: يعني موتهم. قال عياض: المراد ساعة المخاطبين. قال الداودي: هذا الجواب من معاريض الكلام فإنه لو قال لهم

لا أدري ابتداء مع ماهم فيه من الجفاء وقبل تمكن الإيمان في قلوبهم لارتابوا فعدل إلى إعلامهم بالوقت الذي يتعرضون هم فيه ولو كان تمكن الإيمان في قلوبهم لأفصح لهم بالمراد. وقال الكرماني: هذا الجواب من الأسلوب الحكيم أي دعوة السؤال عن وقت القيامة الكبرى فإنها لا يعلمها إلا الله واسألوا عن الوقت الذي يقع فيه انقراض عصركم فهو أولى لكم فإن معرفتكم به تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته لأن أحدكم لا يدري من الذي يسبق الآخر.

الحديث الثالث: قوله: من نصب الدنيا وأذاها: هو دوام الوجع ويطلق أيضاً على فتور البدن. والأذى من عطف العام على الخاص. **قوله: يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب:** المراد براحة العباد منه لما يقع لهم من ظلم وراحة الأرض منه لما يقع عليها من غضبها ومنعها من حقها وصرفه في غير وجهة وراحة الدواب مما لا يجوز من أتعابها. ومناسبة دخول هذا الحديث في الترجمة أن الميت لا يعدو أحد القسمين إما مستريح وإما مستراح منه وكل منهما يجوز أن يشدد عليه عند الموت وأن يخفف والأول هو الذي يحصل له سكرات الموت ولا يتعلق ذلك بتقواه ولا بفجوره بل إن كان من أهل التقوى ازداد ثواباً ولا يُكفر عنه بقدر ذلك ثم يستريح من أذى الدنيا الذي هذا خاتمته. وقد قال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن يهون عليّ سكرات الموت إنه لآخر ما يُكفر به عن المؤمن. ومع ذلك فالذي يحصل للمؤمن من البشرى ومسرة الملائكة بلقائه ورفقهم به وفرحة بلقاء ربه يهون عليه كل ما يحصل له من ألم الموت حتى يصير كأنه لا يحس بشيء من ذلك.

الحديث الرابع: قوله: يتبعه أهله وماله وعمله – إلخ: عند أحمد عن البراء "ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب حسن الريح فيقول: أبشر بالذي يسُرك فيقول من أنت؟ فيقول أنا عملك الصالح" وقال في حق الكافر "ويأتيه رجل قبيح الوجه" وفيه "بالذي يسوؤك وفيه عملك الخبيث"

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الجنائز حديث [1379] و[1393].

43- باب: النفخ في الصور

- روي معلقاً ووصله الفريابي: قال مجاهد الصور كهيئة البوق.

- روي معلقاً ووصلة الطبري وابن أبي حاتم: قال ابن عباس الناقور الصور. الراجفة النفخة أولى. الرادفة النفخة الثانية.

6517- تقدم في كتاب الخصومات حديث [2412].

قوله: نفخ الصور: تكرر ذكره في القرآن في الأنعام، والمؤمنين، والنمل، والزمر، وق، وغيرها. والمراد النفخ في الصور وهي الأجساد لتعاد فيها الأرواح. وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن عمرو قال "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال قرن يُنفخ فيه " وعند الترمذي عن سعيد مرفوعاً "كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ".

فائدة: اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ونقل فيه الحليمي الإجماع.

44- باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة.

6519- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض**». [أطرافه في: 4812، 7382، 7413].

6520- عن أبي سعيد الخدري قال النبي ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خُبزه واحده يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نُزلاً لأهل الجنة**». فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنُزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «**بلى**» قال: تكون الأرض خبزه واحدة كما قال النبي ﷺ. فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذة ثم قال: «**ألا أخبرك بإدامهم؟**» قال: «**إدامهم بالام ونون**» قالوا وما هذا؟ قال: «**ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً**».

6521- عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقرصه النقي**» قال سهل أو غيره ليس فيها مَعلَم لأحد. قوله: **يقبض الله الأرض ويطوي السماء**: قال عياض هذا الحديث جاء على ثلاثة ألفاظ القبض والطي والأخذ وكلها بمعنى الجمع. فهو تمثيل لصفة قبض هذه المخلوقات وجمعها بعد بسطها.

الحديث الثاني: قوله: **تكون الأرض يوم القيامة**: أي أرض الدنيا.

قوله: **خُبزه**: قال الخطابي: عجين يوضع في الحفرة بعد إيقاد النار فيها. قوله: **يتكفؤها الجبار**: أي يميلها في كفأت الإناء إذا قلبته. قوله: **كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر**: قال الخطابي: يعني الذي يصنعه المسافر فإنها لا تدحى كما تدحى الرقاقة وإنما تقلب على الأيدي حتى تستوي. قوله: **نزلاً لأهل الجنة**: ما يقدم للضيف وللعسكر ويطلق على الرزق وعلى الفضل ويقال أصلح للقوم نزلهم أي ما يصلح أي ينزلوا عليه من الغذاء وعلى ما يُعجل للضيف قبل الطعام وهو اللائق هنا. قوله: **فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك**: يريد أنه أعجبه إخبار اليهودي عن كتابهم بنظير ما أخبر به من الوحي وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فكيف بموافقتهم فيما أنزل عليه. قوله: **نواجذة**: جمع ناجذ وهو آخر الأضراس ولكل إنسان أربع نواجذ وتطلق أيضاً على الأنياب والأضراس. قوله: **بإدامهم**: أي ما يؤكل به الخبز. قوله: **بالام ونون**: أي بلفظ أول السورة. قال الخطابي: فأما نون فهو الحوت وما بالام فدل التفسير من اليهودي على أنه أسم للثور. وجزم النووي فقال هي لفظة عبرانية معناها ثور. قوله: **يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً**: قال عياض هي القطعة المنفردة المتعلقة بها وهي أطيبة ولهذا خص بأكلها السبعون ألفاً ولعلهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب فُضّلوا بأطيب المنزل ويحتمل أن يكون عّبر عن العدد الكثير ولم يرد الحصر فيها وعند مسلم "تُحفه أهل الجنة زيادة كبد النون" وفيه "غذاؤهم على أثرها أن ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها".

الحديث الثالث: قولــه: أرض عفراء: قال الخطابي: العفر بياض ليس بالناصع.

قولــه: كقرصة النقي: أي الدقيق النقي من الغش والنخالة قاله الخطابي. قولــه: ليس فيها معلم لأحد: قال الخطابي: يريد أنها مستوية والمعلم هو الشيء الذي يستدل به على الطريق وقال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدي بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة. وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها. وقال ابن أبي جمرة فيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم وليكون تجلية سبحانه على عبادة المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحدة فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده. أ. هـ. وقد وقع للسلف في ذلك خلاف في المراد بقوله تعالى{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها أو تغيير صفاتها فقط وحديث الباب يؤيد الأول. وأخرج مسلم عن عائشة أنها "سألت النبي ﷺ عن هذه الآية "يوم تبدل الأرض غير الأرض" أين يكون الناس حينئذ؟ قال: على الصراط" وفي رواية الترمذي "على جسر جهنم". ولأحمد "على متن جهنم" وأخرج مسلم أيضاً من حديث ثوبان مرفوعاً "يكونون في الظل دون الجسر" فقد جمع بينهما البيهقي بأن المراد بالجسر الصراط.

45- باب: الحشر

6522- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يُحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشُر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا وتبين معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمس معهم حيث أمسوا».

6523- عن أنس أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يُحشر الكافر على وجهة؟ قال: «أليس الذي أمشاة على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهة يوم القيامة؟». قال قتاده: «بلى وعزة ربنا». [أطرافه في: 4760].

6526- عن ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «إنكم محشورون حُفاة عُراة غُــرلا» كما بدأنا أول خلق نعيده" وإن أوّل الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل وإنه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصيحابي؟ فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح "وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم" إلى قوله "الحكيم" قال: «فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم». [أطرافه في: 3349].

6527- عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «تُحشرون حُفاة عُراة غرلاً» فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذلك».

6528- عن ابن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ في قُبّة فقال أترضون أن تكونوا ربُع أهل

الجنة؟ قلنا: نعم قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قلنا: نعم قال: «أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟» قلنا نعم. قال: «والذي نفسي بيده أني لأرجوا أن تكونوا شطر أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود – أو كالشعرة السوداء – في جلد الثور الأحمر». [أطرافه في: 6642].

6529- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أوّل من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذُرّيّتهُ فيقال: هذا أبوكم آدم فيقول: لبيك وسعديك. فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول يا رب كم أخرجُ؟ فيقول أخرج من كل مائة تسعةً وتسعين» فقالوا يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منّا؟ قال: «إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود».

قوله: الحشر: قال القرطبي: الحشر الجمع وهو أربعة: حشران في الدنيا وحشران في الآخرة فالذي في الدنيا أحدهما المذكور في سورة الحشر في قوله تعالى{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ} والثاني الحشر المذكور في أشراط الساعة الذي أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رفعه "إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات" فذكره ز وفي حديث ابن عمر عند أحمد مرفوعاً "تخرج نار قبل يوم القيامة من حضر موت فتسوق الناس" الحديث. وفيه "فما تأمرنا؟ قال عليكم بالشام وفي لفظ "نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس إلى المحشر". قلت: وفي حديث أنس في مسائل عبد الله بن سلام لما أسلم "أما أوّل أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب" في بدء الخلق وفي حديث عبد الله بن عمرو عند الحاكم رفعه "تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ويكون لها ما سقط منهم وتخلف تسوقهم سوق الجمل الكسير" وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار وظهر لي من وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها والمراد بقوله "تحشر الناس من المشرق إلى المغرب"إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق. وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب مُعظمة وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب. والنار التي في الحديث الآخر على حقيقتها. والحشر الثالث حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف قال الله "وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً" والرابع حشرهم إلى الجنة أو النار. أهـ. قوله: راغبين وراهبين: يريد بهم عوام المسلمين فهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيترددون بين الخوف والرجاء. قوله: تقيل معهم حيث قالوا – إلخ: فيه إشارة إلى ملازمة النار لهم إلى أن يصلوا إلى مكان الحشر قال الخطابي: هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة.

الحديث الثاني: قوله: أليس الذي أمشاه – إلخ: ظاهر في أن المراد بالمشي حقيقته فلذلك استغربوه حتى سألوا عن كيفيته. والحكمة أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهة في القيامة إظهاراً لهوانه بحيث صار وجهة مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات.

الحديث الثالث: قوله: إنكم محشورون: أي في الموقف بعد البعث. قوله: حفاة: أي بلا حف ولا نعل. قوله: غرلاً: جمع أغرل وهو الأقلف وهو من بقيت غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر قال ابن عبد البر: يحشر الآدمي عارياً ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع منه شيء يُرد حتى الأقلف. قوله: وانه سيُجاء: أي إلى جهة النار. قوله: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك: في رواية "إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى" وزاد في رواية "إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سُحقاً. سُحقاً" أي بُعداً بُعداً والتأكيد للمبالغة. والمراد "بأمتي" أمة الدعوة لا أمة الإجابة. وقال النووي: قيل هم المنافقون والمرتدون فيجوز أن يُحشروا بالغُرةُ والتحجيل لكونهم من جملة الأمة فيناديهم من أجل السيما التي عليهم فيقال إنهم بّدلوا بعدك أي لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه. وقيل هم أصحاب الكبائر والبدع الذين ماتوا على الإسلام وعلى هذا فلا يقطع بدخول هؤلاء النار لجواز أن يرادوا من الحوض أولا عقوبه لهم ثم يُرحموا. وقال البيضاوي ليس في قوله "مرتدين" نصاً في كونهم ارتدوا عن الإسلام بل يحتمل ذلك أويحتمل أن يراد أنهم عصاه المؤمنين المرتدون عن الاستقامة يبدلون الأعمال الصالحة بالسيئة.

الحديث الخامس: قوله: أترضون: قال ابن التين: ذكره بلفظ الاستفهام لإرادة تقرير البشارة بذلك وذكره بالتدريج ليكون أعظم لسرورهم.

46- باب: قوله ﷻ{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}

6530- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك. قال: يقول أخرج بعث النار قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين. فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد فاشتد ذلك عليهم» فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: «أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود – أو كالرقمة في ذراع الحمار». [أطرافه في: 3348].

قوله: إن زلزلة الساعة شيء عظيم: أشار بهذه الترجمة إلى ما وقع في بعض طرق الحديث أنه ﷺ تلا هذه الآية عند ذكر الحديث. والزلزلة الإضطراب والساعة في الأصل جزء من الزمان واستعيرت ليوم القيامة. وقال الزجاج. معنى الساعة الوقت الذي تقوم فيه القيامة إشارة إلى أنها ساعة خفية يقع فيها أمر عظيم. وقيل: سميت ساعة لوقوعها بغتة. أو لطولها أو لسرعة الحساب

فيها أو لأنها عند الله خفيفة مع طولها على الناس. قولـــه: أخرج بعث النار: البعث بمعنى المبعوث وأصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها ومعناها. هنا مّيز أهل النار من غيرهم وإنما خصّ بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء. قولـــه: وما بعث النار: أي وما مقدار مبعوث النار. قولـــه: فذاك حين يشيب الصغير – إلخ: ظاهرة أن ذلك يقع في الموقف وقد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب وأجاب الكرماني بأن ذلك وقع على سبيل التمثيل والتهويل. وسبق إلى ذلك النووي وقال: فيه وجهان للعلماء فذكرهما وقال التقدير أن الحال ينتهي إلى أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب منه الوليد. وأقول يحتمل أن يحمل على حقيقته فإن كل أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملا والمرضع مرضعة والطفل طفلا. فإذا وقعت زلزلة الساعة وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة. قولـــه: فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل: تقديره والمخرج منكم أو منكم رجل مخرج أي فإن المخرج منكم رجل. وقال القرطبي: أي منهم وممن كان على الشرك مثلهم.

47- باب: قول الله تعالى{أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}

6532- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عـــرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجهم حتى يبلغ آذانهم».

قولـــه: ألا يظن أولئك أنـــهم مبعوثون – الآية: أصل البعث إثارة الشيء عن جفاء والمراد به هنا إحياء الأموات وخروجهم من قبورهم ونحوها إلى حكم يوم القيامة. قولـــه: حتى يذهب عرقهم في الأرض: قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله فأشدهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار كما تقدم تقريره في حديث بعث النار قال والظاهر أن المراد بالذراع في الحديث المتعارف ومن تأمل الحالة المذكورة عرق عظم الهول فيها وذلك أن النار تحف بأرض الموقف وتدني الشمس من الرؤوس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الأرض وماذا يرويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه إن هذا لما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس للعقل فيها مجال ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة وإنما يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب ومن توقف في ذلك دل على خسرانه وحرمانة وفائدة الأخبار بذلك أن يتنبه السامع فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال ويبادر إلى التوبة من التبعات.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب التفسير حديث [4938].

48- باب: القصاص يوم القيامة وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواقّ الأمور. والقارعة والغاشية والصاخة. والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار.

6533- عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ : «أوّل ما يُقضي بين الناس في الدماء». [أطرافه في: 6864].

6535- عن أبا سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «يخلُص المؤمنون من النار فيحُبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيُقصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذّبوا ونُقّوا أُذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمدٍ بيده لأحدهم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا». [أطرافه في: 2440].

قوله: القصاص يوم القيامة: مأخوذ من القص وهو القطع أو من اقتصاص الأثر وهو تتبعه لأن المقتص يتتبع جناية الجاني ليأخذ مثلها يقال اقتص من غريمة واقتص الحاكم لفلان من فلان. قوله: وهي الحاقة: الضمير للقيامة. قوله: لأن فيها الثواب: هذا أخذه من كلام الفراء قال الحاقة القيامة سُميت بذلك لأن فيها الثواب وحواق الأمور. قال الطبري: سميت الحاقة لأن الأمور تحق فيها وقال غيره: سُميت الحاقة لأنها أحقت لقوم الجنة ولقوم النار. وقيل لأنها تُحاقق الكفار يقال حاققته أي خاصمته وقيل لأنها حق لا شك فيه. قوله: القارعة: هو معطوف على الحاقة والمراد أنها من أسماء يوم القيامة وسميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها. قوله: والغاشية: سميت بذلك لأنها تغشى الناس بإفزاعها أي تعمهم بذلك. قوله: والصاخة: قال الطبري سميت بذلك لأن صيحة القيامة مسمعة لأمور الآخرة ومُصمة عن أمور الدنيا وتطلق الصاخه على الداهية. قوله: التغابن غبن أهل الجنة أهل النار: السبب في ذلك أن أهل الجنة ينزلون منازل الأشقياء التي كانت أعدت لهم لو كانوا سعداء فعلى هذا فالتغابن من جانب واحد ولكن بهذه الصيغة للمبالغة.. وقد اقتصر البخاري من أسماء يوم القيامة على هذا القدر وجمعها الغزالي ثم القرطبي فبلغت نحو الثمانين اسماً فمنها يوم الجمع ويوم الفزع الأكبر ويوم التناد ويوم الوعيد ويوم الحسرة ويوم التلاق ويوم المآب ويوم الفصل ويوم العرض على الله ويوم الخروج ويوم الخلود ومنها يوم عظيم ويوم عسير ويوم مشهود ويوم عبوس قمطرير ومنها يوم تبلى السرائر ومنها يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ويوم يدعون إلى نار جهنم ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ويوم لا ينطقون ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا يكتمون الله حديثاً ويوم لا مرد له من الله ويوم لا بيع فيه ولا خلال ويوم لا ريب فيه فإذا ضمت هذه إلى ما ذكر في الأصل كانت أكثر من ثلاثين اسماً معظمها ورد في القرآن بلفظة وسائر الأسماء المشار إليها أخذت بطريق الاشتقاق. قوله: أول ما يقضي بين الناس بالدماء: أي التي وقعت بين الناس في الدنيا والمعنى أول القضايا القضاء في الدماء ولا يعارض هذا حديث أبي هريرة رفعه "إن أوّل ما

يحاسب العبد عليه يوم القيامة صلاته " أخرجه أصحاب السنن لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق والثاني فيما يتعلق بعبادة الخالق وقد جمع النسائي في روايته في حديث ابن مسعود بين الخبرين ولفظه "أوّل ما يحاسب العبد عليه صلاته وأول ما يقضي بين الناس الدماء".

الحديث الثاني: قوله: إذا خلص المؤمنون من النار: أي نجوا من السقوط فيها بعد ما جازوا على الصراط وفي رواية "إذا خلص المؤمنون من جسر جهنم". **قوله: فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار**: سيأتي أن الصراط جسر موضوع على متن جهنم وأن الجنة وراء ذلك فيمر عليه الناس بحسب أعمالهم فمنهم الناجي وهو من زادت حسناته على سيآته أو استويا أو تجاوز الله عنه ومنهم الساقط وهو من رجحت سيآته على حسناته إلا من تجاوز الله عنه فالساقط من الموحدين يعذب ما شاء الله ثم يخرج بالشفاعة وغيرها والناجي قد يكون عليه تبعات وله حسنات توازيها أو تزيد عليها فيؤخذ من حسناته ما يعدل تبعاته فيخلص منها واختلف في القنطرة المذكورة فقيل هي من تتمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة وقيل إنهما صراطان وبهذا جزم القرطبي. **قوله**: حتى إذا هذبو ونقوا: هما بمعنى التمييز والتخليص من التبعات.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب المظالم حديث [2449].

49- باب: من نوقش الحساب عُذّب.

6537- عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس أحدٌ يحاسب يوم القيامة إلا هلك**» فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى{**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**} فقال رسول الله ﷺ : «**إنما ذلك العرض وليس أحدٌ يُناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذب**». [أطرافه في: 103].

6539- عن عدّي بن حاتم قال: قال النبي ﷺ : «**ما منكم من أحد إلا وسيُكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه تُرجمان ثم ينظر فلا ى شيئاً قدامه ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة**» [أطرافه في: 1417].

6540- عن عدّي بن حاتم قال: قال النبي ﷺ : «اتقوا النار» ثم اعرض وأشاح ثم قال: «**اتقوا النار**» ثم اعرض وأشاح ثلاثاً حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**». [أطرافه في: 1417].

قوله: من نوقش الحساب عذب: المراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة يُقال انتفشت منه حقي أي استقصيته. **قوله: هلك**: قال القرطبي أي في النار جزاء على السيئات التي أظهرها حسابه. **قوله: إنما ذلك العرض**: قال القرطبي أي أن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة. وقال عياض أن نفس مناقشة الحساب وعرض الذنوب والتوقيف على قبيح ما سلف والتوبيخ تعذيب وقال النووي التقصير غالب على الناس فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك. وقال غيره وجه المعارضة أن لفظ الحديث عام في تعذيب

كل من حوسب ولفظ الآية دال على أن بعضهم لا يعذب وطريق الجمع أن المراد بالحساب في الآية العرض وهو إبراز الأعمال وإظهارها فيُعرّف صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنه.

الحديث الثاني: قولـه: **ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه**: يحتمل أن يكون سبب الالتفات أنه يترجى أن يجد طريقاً يذهب فيها ليحصل له النجاة من النار فلا يرى إلا ما يقضي به إلى النار. قولـه: **فتستقبله النار**: قال ابن هبيرة: السبب في ذلك أن النار تكون في ممره فلا يمكنه أن يحيد عنها إذ لا بد له من المرور على الصراط. قولـه: **فمن استطاع أن يتقي النار ولو بشق تمره**: أي اجعلوا بينكم وبينها وقاية من الصدقة وعمل البر ولو بشيء يسير.

الحديث الثالث: قولـه: **أعرض وأشاح**: أي أظهر الحذر منها.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب أحاديث الأنبياء حديث [3334].

50- باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب.

6541- عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ : «**عُرضت عليّ الأمم فأخذ النبي يُمّر معه الأُمة والنبي يُمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة والنبي يُمر وحده فنظرت فإذا سواد كثير قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قُدّامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» فقام إليه عُكّاشة بن مِحصن فقال ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**اللهم اجعله منهم**» ثم قام إليه رجل آخر فقال أدع الله أن يجعلني منهم قال: «**سبقك عُكّاشة**». [أطرافه في: 5705].

6542- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل الجنة من أمتي زُمرة هم سبعون ألفاً تُضيء وُجُوههم إضاءة القمر ليلة البدر**» فقام عُكاشة بن محصن يرفع نمرةً عليه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: «**اللهم اجعله منهم**» ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «**سبقك بها عُكاشة**». [أطرافه في: 5811].

6543- عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ : «**ليدخُلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً – أو سبعمائة ألف – متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أوّلُهم وأخرهم الجنة ووجُوهُهم على ضوء القمر ليلة البدر**». [أطرافه في: 3247].

6544- عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت ويا أهل الجنة لا موت خلود**». [أطرافه في: 6548].

قولـه: **يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب**: فيه إشارة إلى أن من المكلفين من لا يحاسب أصلا ومنهم من يحاسب حساب يسيراً ومنهم من يناقش الحساب. قولـه: **فأجد**: فيه مبالغة لتحقق صوره الحال. قولـه: **يُمر معه الأمة**: أي العدد الكثير. قولـه: **والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشر**: في رواية "والنبيون يمرون ومعهم الرهط" والحاصل من هذه الروايات أن الأنبياء

يتفاوتون في عدد أتباعهم. **قولــه: فنظر فإذا سواد كثير**: السواد هو الشخص الذي يرى من بعيد. **قولــه: الأفق**: هو الناحية والمراد به ناحية السماء. **قولــه: لا يكتوون ولا يسترقون ولا يــتطيرون**: تقدم شرحهم في كتاب الطب حديث [5681] و[5703] و[5752] و[5754] وفي كتاب الرقاق حديث [6472].

قولــه: وعلى ربهم يتوكلون: قال الجمهور يحصل التوكل بأن يثق بوعد الله ويوقن بأن قضاءه واقع ولا يترك إتباع السنة في ابتغاء الرزق مما لا بد لــه من مطعم ومشرب وتحرز من عدو بإعداد السلاح وإغلاق الباب ونحو ذلك ومع ذلك فلا يطمئن إلى الأسباب بقلبه بل يعتقد أنها لا تجلب بذاتها نفعاً ولا تدفع ضراً بل السبب والمسبب فعل الله تعالى والكل بمشيئته فإذا وقع من المرء ركون إلى السبب قدح في توكله وهم من ذلك فيه على قسمين واصل وسالك فالأول صفه الواصل وهو الذي لا يلتفت إلى الأسباب ولو تعاطاها وأما السالك فيقع لــه الالتفات إلى السبب أحياناً إلا أنــه يدفع ذلك عن نفسه بالطرق العلمية والأذواق الحالية إلى أن يرتقي إلى مقام الواصل. **قولــه: سبقك بها عكاشة**: أخرج ابن الجوزي أنه كان منافقاً وكذا نقله الدار قطني ونقله ابن عبد البر عن بعض أهل العلم وقال ابن بطال معنى قولــه "سبقك أي إلى إحراز هذه الصفات وهي التوكل وعدم التطير وما ذكر معه وعدل عن قولــه: "لست منهم أو لست على أخلاقهم": تلطفاً بأصحابه ﷺ وحُسن أدبه معهم. وقال القرطبي: لم يكن عند الثاني من تلك الأحوال ما كان عند عكاشة وهذا أولى من قول من قال كان منافقاً لوجهين أحدهما أن الأصل من الصحابة عدم النفاق فلا يثبت ما يخالف ذلك إلا بنقل صحيح والثاني أنه قل أن يصدر مثل هذا السؤال إلا عن قصد صحيح ويقين بتصديق الرسول وكيف يصدر ذلك من منافق؟ وإلى هذا جنح ابن تيمية وقال السهيلي: الذي عندي في هذا أنها كانت ساعة إجابة علمها ﷺ واتفق أن الرجل قال بعد ما انقضت وبيّنه ما وقع في الحديث "ثم جلسوا ساعة يتحدثون" وفي رواية ابن إسحاق "وبردت الدعوة" أي انقضى وقتها.

الحديث الثاني: **قولــه: يدخل الجنة من أُمتي زُمرة**: هي الجماعة إذا كان بعضهم إثر بعض.

قولــه: تضيء وجوههم إضاءة القمر: في رواية مسلم "على صورة القمر" قال القرطبي المراد بالصورة الصفة يعني أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه وهي ليلة أربعة عشر ويؤخذ منه أن أنوار أهل الجنة تتفاوت بحسب درجاتهم، وقلت: وكذا صفاتهم في الجمال ونحوه.

الحديث الثالث: **قولــه: يرفع نمرة عليه**: هي كساء من صوف كالشمله مخططة بسواد وبياض يلبسها الأعراب. **قولــه: حتى يدخل أولهم وأخرهم**: هو غاية للتماسك المذكور والأخذ بالأيدي وفي رواية "لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم" والمراد أنهم يدخلون صفاً واحداً فيدخل الجميع دفعه واحدة ووصفهم بالأولية والآخريه باعتبار الصفة التي جازوا فيها على الصراط في ذلك إشارة إلى سعة الباب الذي يدخلون منه الجنة قال عياض يحتمل أن يكون معنى كونهم متماسكين أنهم على صفة الوقار فلا يُسابق بعضهم بعضاً بل يكون دخولهم جميعاً.

الحديث الرابع: قولـه: يقال لأهل الجنة – إلخ: مناسبة هذا الحديث لترجمة دخول الجنة بغير حساب الإشارة إلى أن كل من يدخل الجنة يخلد فيها فيكون للسابق إلى الدخول مزية على غيره.

51- باب: صفة الجنة والنار

6547- عن أسامة عن النبي ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار وقُمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء».

6548- عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت»حتى يُجعل بين الجنة والنار ثم يُذبح ثم ينادى مُنادٍ يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم. [أطرافه في: 6544].

6549- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم؟ فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أُعطيكم أفضل من ذلك قالوا يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعدهُ أبداً» [أطرافه في: 7518].

6551- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المُسرع»؟.

6553- عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد أو المُضمر السريع مائة عام وما يقطعها».

6558- عن جابر أن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثغاريز» قلتُ وما الثغاريز؟ قال: «الضغابيس»

6559- عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيُسميهم أهل الجنة الجهنميين». [أطرافه في: 7450].

6562- عن النعمان بن بشير قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغُة كما يغلي المرجل بالقُمقم».

6565- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لوا ستشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيديه ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول: لستُ هناكم ويذكُر خطيئته ويقول ائتوا نوحاً أوّل رسول بعثه الله فيأتونه فيقول: لست هُناكم ويذكرُ خطيئته. أئتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً. فيأتونه فيقول: لستُ هناكم ويذكر خطيئته. آئتوا موسى الذي كلمه الله فيأتونه فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته. آئتوا عيسى فيأتونه فيقول لستُ هناكم آئتوا محمداً ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبة وما تأخر فيأتون فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعتُ له ساجداً فيدعنُى ما شاء الله ثم يُقال لي: آرفع رأسك وسل تُعطَه وقل يُسمع

واشفع تُشفّع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يُعلّمني ثم أشفع فيُحدّ لي حداً ثم أخرجهم وأدخِلُهمُ الجنة ثم أعود فأقع ساجداً مِثلهُ في الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن» وكان قتاده يقول: عند هذا: «أي وجب عليه الخلود». [أطرافه في: 44].

6566- عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يُسمّون الجهنميين».

6568- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «غدوه في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن أمرأة من نساء أهل الجنة آطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها – يعني الخمار – خير من الدنيا وما فيها». [أطرافه في: 2792].

6569- عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ : «لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة».

6570- عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوّلُ منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قِبلَ نفسه». [أطرافه في: 99].

6571- عن ابن مسعود قال النبي ﷺ : «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً رجل يخرج من النار حبواً: فيقول الله: آذهب فأدخل الجنة فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتُها ملأى فيقول: آذهب وادخل الجنة فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتُها ملأى فيقول آذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو أن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول: تسخَر مني أو تضحك مني وأنت الملك؟ فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذهُ وكان يُقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة». [أطرافه في: 7511].

قوله: صفة الجنة والنار: تقدم في بدء الخلق وأنها مخلوقة. قوله: أصحاب الجد: أي الغنى. قوله: محبوسون: أي ممنوعون من دخول الجنة مع الفقراء من أجل المحاسبة على المال وكأن ذلك عند القنطرة التي يتقاصون فيها بعد الجواز على الصراط. قوله: فإذا عامة من دخلها النساء: قال القرطبي إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والمسيل إلى عاجل زينة الدنيا والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن.

الحديث الثاني: قوله: جيء بالموت: في رواية "يؤتي بالموت كهيئة كبش أملح. قال القرطبي الحكمة في الإتيان بالموت هكذا الإشارة إلى أنهم حصل لهم الفداء به كما فدى ولد إبراهيم بالكبش وفي الأملح إشارة إلى صفتي أهل الجنة والنار لأن الأملح ما فيه بياض وسواد. قوله: يا أهل الجنة لا موت: في رواية زاد "فينادى مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. وكلهم قد رآه وعرفه" وذكر مثله في أهل النار. وقوله "فيشرئبون"

أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤسهم للنظر قال أبو بكر بن العربي: استشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل لأن الموت عرض والعرض لا يتقلب جسماً فكيف يذبح. فقيل: لا مانع أن ينشيء الله من الأعراض أجساداً يجعلها ماده لها كما ثبت في مسلم "إن البقرة وآل عمران يجيئان كأنهما غمامتان" قال القرطبي وفي هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت ولا حياة نافعة ولا راحة كما قال تعالى:{لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا} وقال تعالى{كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} قال فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية أو أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول ﷺ وأجمع عليه أهل السنة.

الحديث الثالث: قوله: أحل عليكم رضواني: أي أنزل لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة وكل من علم أن سيده راضي عنه كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم.

الحديث الرابع: قوله: منكبي الكافر: هو مجتمع العضد والكتف. قوله: مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع: في حديث ابن عمر عند أحمد "يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقة مسيرة سبعمائة عام "وللبيهقي عن ابن عباس"مسيرة سبعين خريفاً" ولابن المبارك عن أبي هريرة "ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد يعظمون لتمتليء منهم وليذوقوا العذاب" ولمسلم من وجه آخر وزاد"وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام قال القرطبي إنما عظم خلق الكافر في النار ليعظم عذابه ويضاعف ألمه. قال ولاشك أن الكفار متفاوتون في العذاب كما علم من الكتاب والسنة.

الحديث الخامس: قوله: يسير الراكب: زاد في رواية "في ظلها". قوله: لا يقطعها: أي لا ينتهي إلى آخر ما يميل من أغصانها. قوله: الجواد: هو الفرس. قوله: أو المضمر السريع: أي في جريه.

الحديث السادس: قوله: يخرج من النار بالشفاعة: قال ابن بطال: أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} وغير ذلك من الآيات وأجاب أهل السنة بأنها في الكفار وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة ودل عليها قوله تعالى{عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} والجمهور على أن المراد به الشفاعة. لكن الشفاعة التي وردت في الأحاديث المذكورة في المقام المحمود نوعان: الأول العامة في فصل القضاء والثاني الشفاعة في إخراج المذنبين من النار وعند مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص "سئل النبي ﷺ عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وقال النووي: تبعاً لعياض الشفاعة خمس في الإراحة من هول الموقف وفي إدخال قوم الجنة بغير حساب وفي إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا وفي إخراج من أدخل النار من العصاة وفي رفع الدرجات. قوله: كأنهم الثغارير: واحدها ثغرور كعصفور. قوله: الضغابيس: قال ابن الأعرابي هي قثاء صغار وقاله أبو عبيدة. وقيل هو نبت في أصول الثمام كالقطن ينبت في الرمل ينبسط عليه ولا يطول. وقيل الثغرور الأقط الرطب والمقصود الوصف بالبياض والدقة.

الحديث السابع: قولـه: فيسميهم أهل الجنة الجهنميين: في رواية زاد "فيكتب في رقابهم عتقاء الله فيسمون فيها الجهنميين" أخرجه ابن حبان والبيهقي وأصله في مسلم وللنسائي عن أنس "فيقول لهم أهل الجنة هؤلاء الجهنميون فيقول الله هؤلاء عتقاء الله" وأخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي سعيد وزاد "فيدعون الله فيذهب عنهم هذا الاسم".

الحديث الثامن: قولـه: أهون أهل النار عذاباً: عند مسلم التصريح بذلك ولفظة "أهون أهل النار عذاباً أبو طالب. **قولـه: أخمص:** ما لا يصل إلى الأرض من باطن القدم عند المشي. **قولـه: جمرة:** في رواية "جمرتان" وكذا عند مسلم قال ابن التين: يحتمل أن يكون الاقتصار على الجمرة للدلالة على الأخرى لعلم السامع بأن لكل أحد قدمين وعند مسلم بلفظ "من لـه نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه". **قولـه: كما يغلي المرجل بالقمقم:** المرجل قدر من نحاس ويقال أيضاً لكل إناء يغلي فيه الماء من أي صنف كان والقمقم معروف من آنية العطار ويقال هو إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء.

الحديث التاسع: قولـه: لو استشفعنا: الإستشفاع طلب الشفاعة وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه. **قولـه: لستُ هُناكم:** قال عياض: كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعاً وإكباراً لما يسألونه وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري. **قولـه: ويذكر خطيئته:** زاد مسلم "التي أصاب" وزاد في رواية "أكله من الشجره وقد نهى عنها" وفي رواية "فيذكر ذنبه فيستحي" وفي رواية ابن عباس "إني قد أخرجت بخطيئتي من الجنة" وفي رواية "هل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم" وفي حديث أبي هريرة "إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي أذهبوا إلى غيري". **قولـه: ائتوا نوحاً فيأتونه:** في رواية مسلم "ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً" وقد استشكل هذه الأولية بأن آدم نبي مرسل وكذا شيث وإدريس وهم قبل نوح والجواب عن ذلك أن الأولية مقيدة بكونه أهلك قومه أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً وإلى هذا جنح ابن بطال في حق آدم. ومن الأجوبة أن رسالة آدم كانت إلى بنية وهم موحدون ليعلمهم شريعته ونوح كانت رسالته إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد. **قولـه: ويذكر خطيئته التي أصاب:** في رواية "ويذكر سؤال ربه ما ليس لـه به علم" وفي رواية "إنه كانت لي دعوه دعوت بها على قومي" ويجمع بينه وبين الأول بأنه اعتذر بأمرين أحدهما نهى الله تعالى لـه أن يسأل ماليس لـه به علم فخشي أن تكون شفاعته لأهل الموقف من ذلك ثانيهما أن لـه دعوة واحده محققه الإجابة وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض فخشي أن يطلب فلا يجاب. **قولـه: ائتوا إبـراهيم – إلخ:** في رواية "إني كنت كذبت ثلاث كذبات" زاد في رواية "قوله إني سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لامرأته أخبريه أني أخوك". **قولـه: ائتوا موسى الذي كلمه الله – إلخ:** زاد مسلم "فيذكر خطيئته التي أصاب قتل النفس" وفي رواية "عند سعيد بن منصور "إني قتلت نفساً بغير نفس وإن يُغفر لي اليوم حسبي". **قولـه: ائتوا عيسى – إلخ:** زاد مسلم "روح الله وكلمته" وفي رواية الترمذي عن أبي سعيد "إني عُبدت من دون الله" وفي

رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس "إني اتخذت إلهاً من دون الله". قولـه: ائتوا محمد ﷺ – إلخ: في رواية "إني لقائم انتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاء عيسى فقال يا محمد هذه الأنبياء قد جاءتك يسألون لتدعون الله أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء لغم ما هم فيه" فأفادت الرواية تعيين موقف النبي ﷺ حينئذ وأن هذا كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار وأن عيسى عليه السلام هو الذي يخاطب النبي ﷺ وأن الأنبياء جميعاً يسألونه في ذلك. قولـه: فيُحدّ لي حداً: قال الطيبي: يبين لي في كل طور من أطوار الشفاعه حداً أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول شفعتك فيمن أخل بالجماعة ثم فيمن أخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى وعلى هذا الأسلوب. والذي يدل عليه السياق أن المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الأعمال الصالحة. قولـه: إلا من حبسُه القرآن: أي من أخبر القرآن بأنه يخلد في النار.

الحادي عشر: قولـه: لو أساء ليزداد شكراً: أي لو كان عمل عملاً سيئاً وهو الكفر فصار من أهل النار وقوله ليزداد شكراً أي فرحاً ورضا. قولـه: لو أحسن: أي لو عمل عملاً حسناً وهوالاسلام. قولـه: ليكون عليه حسرة: أي الزيادة في تعذيبة.

الحديث الثاني عشر: قولـه: من أسعد الناس بشفاعتك: لعلّ أبا هريرة سأل عن ذلك عند تحديثه ﷺ بقوله "وأريد أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة" والمراد بهذه الشفاعة المسئول عنها بعض أنواع الشفاعة وهي التي يقول ﷺ "أمتي أمتي فيقال له أخرج من النار من في قلبه وزن كذا من الإيمان" فأسعد الناس بهذه الشفاعة من يكون إيمانه أكمل ممن دونه وأما الشفاعة العظمى في الإراحة من كرب الموقف فأسعد الناس بها من يسبق إلى الجنة وهم الذين يدخلونها بغير حساب ثم الذين يلونهم وهو من يدخلها بغير عذاب بعد أن يحاسب ويستحق العذاب ثم من يصيبه لفح النار ولا يسقط لحاصل أن في قوله "أسعد" إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص. قولـه: من قِبل نفسه: أي قال ذلك باختياره.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب بدء الخلق حديث [3241] وكتاب الرقاق حديث [6544] وكتاب الجهاد والسير حديث [2809] وكتاب بدء الخلق حديث [3247] و[3256] وكتاب أحاديث الأنبياء حديث [3334] وكتاب الإيمان حديث [22] وكتاب الذكاة حديث [1417] وكتاب مناقب الأنصار حديث [3885] وكتاب الإيمان حديث [44] وكتاب الجهاد والسير حديث [2809] وكتاب مناقب الأنصار حديث [3883].

52- باب: الصراط جسر جهنم.

6573- عن أبي هريرة قال: قال أناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تُضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه من كان يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت وتبقى هذه لأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم

فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم» قال رسول الله ﷺ : «فأكون أوّل من يُجيز ودعاء الرُسل يومئذ اللهم سلّم سلّم. وبه كلاليب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان؟» قالوا بلى يا رسول الله قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله. فتخطف الناس بأعمالهم منهم المُوبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يُخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيُخرجونهم قد امتحشوا فيُصبّ عليهم ماء يُقال له: ماء الحياة فينبتُون نبات الحبة في حميل السيل ويبقى رجل مُقبل بوجهة على النار فيقول: يا رب قد قشيني ريحها وأحرقني ذكاءُها فاصرف وجهي عن النار فلا يزال يدعوا الله فيقول لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيرهُ فيقول لا وعزتك لا أسألك عيره. فيصرف وجهه عن النار ثم يقول بعد ذلك يا رب قربني إلى باب الجنة فيقول أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فلا يزال يدعو فيقول لعلّي إن أعطيتك ذلك غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيعطى الله ما شاء من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيُقرّبه إلى باب الجنة فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول رب أدخلني الجنة ثم يقول أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها فإذا دخل فيها قيل تمنّ مِن كذا فيتمنى ثم يقال له تمنّ من كذا فيتمنّى حتى تنقطع به الأماني فيقول له هذا لك ومثله معه» قال أبو هريرة: «وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً». [أطرافه في: 806].

6574- عن أبي سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا لك وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة: حفظت مثل معه. [أطرافه في: 22].

قوله: الصراط جسر جهنم: أي الجسر المنصوب على جهنم لعبور المسلمين عليه إلى الجنة. قوله: هل نرى ربنا يوم القيامة: في التقييد بيوم القيامة إشارة إلى أن السؤال لم يقع عن الرؤية في الدنيا وقد أخرج مسلم من حديث أبي أمامة "وأعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا". قوله: هل تُضارون: أي لا تضرون أحداً ولا يضركم بمنازعة ولا مجادلة ولا مضايقة. وقيل المعنى لا تضايقون لا يحجب بعضكم بعضاً عن الرؤية فيضر به. قوله: ترونه كذلك: المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك ورفع المشقة والإختلاف. قوله: يجمع الله الناس: في رواية "في صعيد واحد" قال النووي الصعيد الأرض الواسعة المستوية. وقال القرطبي: المعنى أنهم يجمعون في مكان واحد بحيث لا يخفي منهم أحد لو دعاهم داع لسمعوه ولو نظر إليهم ناظر لأدركهم. قوله: الطواغيت: جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم وقال الطبري: الصواب عندي أنه كل طاغ طغى على الله يعبد من دونه إما بقهر منه لمن عُبد وإما بطاعة ممن عُبد إنساناً كان أو شيطاناً أو حيواناً أو جماداً فإتباعهم لهم حينئذ باستمرارهم على الاعتقاد فيهم ويحتمل أن يتبعوهم بأن يُساقوا إلى النار قهراً. قوله: وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها: قال ابن أبي جمرة يحتمل

أن يكون المراد بالأمة أمة محمد ﷺ ويحتمل أن يحمل على أعم من ذلك فيدخل فيه جميع أهل التوحيد وقال ابن بطال: في هذا الحديث أن المنافقين يتأخرون مع المؤمنين رجاء أن ينفعهم ذلك بناء على ما كانوا يظهرونه في الدنيا فظنوا أن ذلك يستمر لهم فميّز الله تعالى المؤمنين بالغرة والتحجيل إذ لا غرة للمنافق ولا تحجيل. قلت: قد ثبت أن الغرة والتحجيل خاص بالأمة المحمدية فالتحقيق أنهم في هذا المقام يتميزون بعدم السجود وبإطفاء نورهم بعد أن حصل لهم ويحتمل أن يحصل لهم الغرة والتحجيل ثم يُسلبان عند إطفاء النور وقال القرطبي ظن المنافقون أن تسترهم بالمؤمنين ينفعهم في الآخرة كما كان ينفعهم في الدنيا جهلاً منهم. ويحتمل أن يكونوا حشروا معهم لما كانوا يظهرونه من الإسلام فاستمر ذلك حتى ميزهم الله تعالى منهم. **قوله: فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون**: قال ابن الجوزي معنى الخبر يأتيهم الله بأهوال يوم القيامة ومن صور الملائكة بما لم يعهدوا مثله في الدنيا فيستعيذون من تلك الحال ويقولون إذا جاء ربنا عرفناه أي إذا أتانا بما نعرفهُ من لطفه. **قوله: فيأتيهم بالصورة التي يعرفونها**: قال القرطبي يقال للمؤمنين هل بينكم وبينه علامة؟ قلت وهذه الزيادة في حديث أبي سعيد ولفظة "آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياء وسمعه فيذهب كما كان يسجد فيصير ظهره طبقاً واحداً" أي يستوي فقار ظهره فلا ينثني للسجود وفي لفظ لمسلم "فلا يبقى من كان يسجد من تلقاء نفسه إلا أذن له في السجود أي سهل له وهّون عليه ولا يبقى من كان يسجد من تلقاء نفسه إلا أذن له في السجود " أي سهل له وهون عليه "ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقاً واحداً كلما أراد أن يسجد خر لقفاه" وفي حديث ابن مسعود "فيقولون إن اعترف لنا عرفناه قال فيكشف عن ساق فيقعون سجوداً وتبقى أصلاب المنافقين كأنها صياصي البقر". **قوله: فيتبعونه**: قال عياض: أي فيتبعون أمره أو ملائكته الذين وكّلوا بذلك. **قوله: قال رسول الله ﷺ فأكون أنا وأمتي أوّل من يجيز**: وقال النووي: المعنى أكون أنا وأمتي أول من يمضي على الصراط ويقطعه. **قوله: أما رأيتم شوك السعدان**: هو استفهام تقرير لاستحضار الصورة المذكورة. **قوله: غير أنها لا يعلم عظمها إلا الله**: أي الشوكة. **قوله: منهم الموبق بعمله**: بمعنى الهلاك. **قوله: ومنهم المخردل**: قال الهروي المعنى أن كلاليب النار تقطعه فيهوى في النار. **قوله: حتى إذا فرغ الله في القضاء بين عباده**: قال ابن المنير: المراد إخراج الموحدين وإدخالهم الجنة واستقرار أهل النار في النار. **قوله: امتحشوا**: أي احترقوا والمحش احتراق الجلد وظهور العظم. **قوله: في ميل السيل**: أي ما يحمله السيل والمراد أن الغثاء الذي يجيء به السيل يكون فيه الحبة فيقع في جانب الوادي فتصبح من يومها نابتة قال ابن أبي جمرة فيه إشارة إلى سرعة نباتهم لأن الحبة أسرع في النبات من غيرها وفي السيل أسرع لما يجتمع فيه من الطين الرخو الحادث مع الماء مع ما خالطه من حرارة الزيل المجذوب معه ويستفاد منه أنه ﷺ كان عارفاً بجميع أمور الدنيا بتعليم الله تعالى وإن لم يباشر ذلك. **قوله: قد قشبني ريحها**: قال الخطابي: قشبه الدخان إذا ملأ خياشيمه وأخذ بكظمة وأصل القشب خلط السم بالطعام يقال

فشبة إذا اسمّه ثم استعمل فيما إذا بلغ الدخان والرائحة الطيبة منه غايته. قوله: وأحرقني ذكاؤها: أي كثر لهبها واشتد اشتعالها ووهجها. قوله: فيصرف وجهه عن النار: في رواية عند مسلم "ويرفع له شجرة فيقول رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله: لعلي إن أعطيتك تسألني غيرها فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأل غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر عليه" وفيه أنه "يدنو منها وأنه يرفع له شجره أخرى أحسن من الأولى عند باب الجنة ويقول في الثالثة ائذن لي في دخول الجنة ". قوله: فيقول أليس قد زعمت: في رواية "أليس قد أعطيت العهد والميثاق. قوله: لعلي إن أعطيتك ذلك: المعنى هل يتوقع منك سؤال شيء غير ذلك وهو استفهام تقرير لأن ذلك عادة بني آدم والترجي راجع إلى المخاطب لا إلى الرب وهو من باب إرخاء العنان إلى الخصم ليبعثه ذلك على التفكر في أمره والإنصاف من نفسه. قوله: فيقول لا وعزتك: قال ابن أبي جمرة إنما بادر للحلف من غير استحلاف لما وقع له من قوة الفرح بقضاء حاجته فوطنّ نفسه على أن لا يطلب مزيداً وأكده بالحلف. قوله: فإذا رأي ما فيها سكت: المراد أنه يرى ما فيها من خارجها إما لأن جدارها شفاف فيرى باطنها من ظاهرها كما جاء في وصف الغرف وإما أن المراد بالرؤية العلم الذي يحصل له من سطوع رائحتها الطيبة وأنوارها المضيئة كما كان يحصل له أذى لفح النار وهو خارجها. قوله: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك: المراد بالخلق هنا من دخل الجنة فهو لفظ عام أريد به خاص ومرادة أنه يصير إذا استمر خارجاً عن الجنة أشقاهم وكونه أشقاهم ظاهر لو استمر خارج الجنة وهم من داخلها. قال الطيبي معناه يارب قد أعطيت العهد والميثاق ولكن تفكرت في كرمك ورحمتك فسألت.

الحديث الثاني: قوله: وعشرة أمثاله: فقال أبو هريرة حفظت مثله معه: يمكن الجمع أن يكون عشرة الأمثال إنما سمعه أبو سعيد في حق آخر أهل الجنة دخولاً والمذكور هنا في حق جميع من يخرج بالقبضة. وجمع عياض باحتمال أن يكون أبو هريرة سمع أولاً قوله "ومثله معه" فحدث به ثم حدّث النبي ﷺ بالزيادة فسمعه أبو سعيد.

53- باب: في الحوض وقول الله تعالى{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}

6576- عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال "أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجالٌ منكم ثم ليختلجُنّ دوني فأقول يارب أصحابي؟ فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. [أطرافه في: 7049].

6577- عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرُج».

6579- عن ابن عمرو قال: قال النبي ﷺ : «حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريُحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً».

6580- عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء».

6583- عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ : «إني فرطكم على الحوض من مّر عليّ شرب ومن

شرب لم يظمأ أبدا ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثُم يُحال بيني وبينهم». [أطرافه في: 7050].

6584- عن أبي سعيد الخدري - يزيد فيها فأقول إنهم مني فيقال: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعَدك فأقول سُحقاً سُحقاً لمن غير بعدي».

6585- عن أبي هريرة أنه كان يحُدّث أن رسول الله ﷺ قال: «يردُ عليّ يوم القيامة رهطُ من أصحابي فيجُلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك؟ إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري».

6587- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا نائم فإذا زُمره حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلُمّ فقلتُ: أين؟ قال إلى النار والله قلتُ: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري ثم إذا زُمره حتى إذا عرفتُهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هُلّم. قلت أين؟ قال إلى النار والله قلت: ما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أُراهُ يخلصُ منهم إلا مثل هُمل النعم».

6591- عن حارثة بن وهب قال: سمعت النبي ﷺ وذكر الحوض فقال: «كما بين المدينة وصنعاء».

6593- عن أسماء قالت. قال النبي ﷺ : «إني على الحوض حتى أنظر من يردُ عليّ منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يارب منّي ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم فكان ابن أبي مليكة يقول اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا». [أطرافه في: 7048].

قوله: الحوض: أي حوض النبي ﷺ وجمع الحوض حياض وأحواض وهو مجمع الماء وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه. وقد أخرج أحمد والترمذي من حديث أنس قال "سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي فقال أنا فاعل فقلت أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الميزان قلت فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الحوض "وقد استشكل كون الحوض بعد أن يكادوا يردون ويذهب بهم إلى النار ووجه الإشكال أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد إليها؟ ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون النار فيدفعون إلى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط وقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة وتقدم أن الصراط جسر جهنم وأنه بين الموقف والجنة وأن المؤمنين يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصُب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها. قوله: إنا أعطيناك الكوثر: إشارة إلى أن المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو ماده الحوض.

الحديث الأول: قوله: ولُيرفعن: أي يظهرهم الله لي حتى آراهم. قوله: ثم ليختلجن: أي ينزعون أو يجذبون مني يقال أختلجته منه إذا نزعه منه أو جذبة بغير إرادته.

الحديث الثاني: **قولــه: كما بين جرباء وأذرح**: في رواية "كما بين صنعاء وآيلة" وفي رواية "أبعد من آيلة إلى عدن" وهذه الروايات متقاربة لأنها كلها نحو شهر أو تزيد أو تنقص قال القرطبي: ظن بعض القاصرين أن الاختلاف في قدر الحوض اضطراب وليس كذلك وليس اختلافاً بل كلها تفيد أنه كبير متسع متباعد الجوانب ولعل ذكره للجهات المختلفة بحسب من حضرة ممن يعرف تلك الجهة فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها.

الحديث الثامن: **قولــه: خرج رجل من بني وبينهم**: المراد بالرجل الملك الموكل.

قولــه: ارتدوا القهقري: أي رجعوا إلى الخلف. **قولــه: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل الــنعم**: يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه والهمل الإبل بلا راع. وقال الخطابي: الهمل ما لا يرعى ولا يستعمل ويطلق على الضوال والمعنى أنه لا يرده منهم إلا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة إلى غيرهم.

الحديث العاشر: **قوله: ما برحوا يرجعون**: أى يرتدون.

قوله: نرجع على أعقابنا: كناية عن مخالفة الأمر الذى تكون الفتنة سببه.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب التفسير حديث [4966] و[4964] وكتاب فضل الصلاة بمكة حديث [1196] وحديث [6426].

تم بحمد الله كتاب الرقاق

ويليه كتاب القدر إن شاء الله

* * * * *